

## تفريغ شرح صحيح البخاري 5 كتاب الإيمان، الباب الأول، الحديث 8

الدرس الخامس: بتاريخ: 17/06/2023هـ - 28/11/1444هـ

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعود بالله من شرور أنفسنا وسیئات أعمالنا، أما بعد:

فالاليوم هو مجلسنا الخامس من مجالس شرح صحيح البخاري، وقبل أن نبدأ بالمادة المقررة اليوم أنبأه على أمرین وقد ختمنا الباب الأول:

1- أن موسى بن إسماعيل التبوزكي -هذا شيخ البخاري- ذكرنا أنه من أتباع التابعين وهذا بناءً على وضع ابن حجر له في الطبقة التاسعة، والظاهر أن الصواب ما فعله ابن حبان في "الثقات" فقد وضعه فيمن روی عن أتباع التابعين أي إنه ليس من أتباع التابعين، هذا هو الصواب إن شاء الله.

وضع ابن حجر للرواة في الطبقة التاسعة ينبغي الحذر من التعامل معها، لا بد من المراجعة والتدقيق فقد أدخل ابن حجر في هذه الطبقة بعض الرواية على أنهم من أتباع التابعين وليسوا كذلك، وممّن مثل بهم الإمام الشافعي رحمه الله، وليس من أتباع التابعين، فينبغي الحذر من هذا والتنبه له قبل متابعة الحافظ على ما فعله، طبقات ابن حبان رحمه الله قوية.

فبناءً على ذلك يكون جميع شيوخ الإمام البخاري رحمه الله الذين تقدموا معنا في الباب الأول يرثون عن أتباع التابعين أي ليس فيهم أحدٌ من أتباع التابعين.

2- وفي الحديث السابق ذكرت لكم قصة ابن الناطور وأنها غير مروية بالإسناد المذكور عن أبي سفيان وذكرنا أنها من قول الزهري رحمه الله

ولعلي نسيت أن أذكر لكم أنه قد بين ذلك أبو نعيم في "دلائل النبوة" أن الزهري قال: لقيته بدمشق في زمن عبد الملك بن مروان، أى لقي الزهري ابن الناطور في زمن عبد الملك بن مروان.

قال ابن حجر: "وأظنه لم يتحمل عنه ذلك إلا بعد أن أسلم" إذ إنه لا يصح أن يتحمل عنه وهو كافر، ممكناً الراوي يأخذ الحديث يتحمله وهو كافر أما أن يحدث به وهو كافر فلا يقبل منه كما تقدم معكم في شروط التحمل وشروط الأداء في المصطلح.

اليوم معنا كتابٌ جديدٌ، وهو كتابٌ غاية في الأهمية، كتابٌ فيه مبحث من مباحث العقيدة المهمة التي حصل فيها افتراق عظيم في هذه الأمة بين أهل السنة وأهل البدع، وهو:

### "كتاب الإيمان":

قال الحافظ البخاري رحمه الله: "كتاب الإيمان"

بابُ الإيمان وقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ» وَهُوَ قَوْلٌ وَفَعْلٌ، وَيَزِيدُ وَيَنْقُصُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {لَيَزِدُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} [الفتح: 4] {وَزَدَنَاهُمْ هُدًى} [الكهف: 13] {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدُوا هُدًى} [مريم: 76] {وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ} [محمد: 17] وَقَوْلُهُ: {وَيَزِدُ الدِّينَ أَمْنُوا إِيمَانًا} [المدثر: 31] وَقَوْلُهُ: {أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا} [التوبه: 124] وَقَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {فَاخْشُوهُمْ فَزَادُهُمْ إِيمَانًا} [آل عمران: 173] وَقَوْلُهُ تَعَالَى: {وَمَا زَادُهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا} [الأحزاب: 22] وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ" وَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ إِلَى عَدَيِّ بْنِ عَدَيْ: «إِنَّ للْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنُنًا، فَمَنْ أَسْتَكْمَلَهَا أَسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الْإِيمَانَ، فَإِنْ أَعْشَ فَسَأُبَيِّنُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا، وَإِنْ أَمْتُ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ» وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: {وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي} وَقَالَ مُعاذُ: «اجْلِسْ بِنَا

نُؤمِنْ سَاعَةً» وَقَالَ أَبْنُ مَسْعُودٍ: «الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ» وَقَالَ أَبْنُ عُمَرَ: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدْعَ مَا حَاكَ فِي الصَّدْرِ» وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «{شَرَعَ لَكُمْ}: أُوصِينَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا» وَقَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ: «شِرْعَةٌ وَمِنْهَا جَاءَ» سَيِّلًا وَسُنَّةً

البسملة و "كتاب" هذه في بعض الروايات دون بعض وبينهما تقديم وتأخير، لن أنبئ على اختلاف الروايات والنُّسخ إلا عند الحاجة المهمة التي لها تأثير فهي -هذه الاختلافات- مثبتة عندكم في شرح القسطلاني وفي الطبعات الجيدة من الكتاب، سنعتمد على ما هو مثبت في اليونينية ونجعله أصلًا إن شاء الله.

"كتاب" في اللغة: مادة كتب في اللغة تُستعمل للجمع والضم ومنها: الكتبة؛ كتبة الجيش، لاجتماع الفرسان فيها سميت كتبة

واصطلاحاً: اسم لجملة مختصةٍ من العلم مشتملة غالباً على أبوابٍ وفصولٍ.

هذا الكتاب تُجمع فيه مسائل وأبواب، هذه المسائل والأبواب بينها اشتراك في معنى واحد ثم تفترق من وجه آخر فتقسم إلى مسائل وأبواب كما تقدم معنا هذا، مثل كتاب الإيمان يضع في هذا الكتاب كل ما يتعلق بالإيمان ويقسمه إلى أبواب.

"الإيمان": أي: هذا كتابٌ موضوعٌ لشرح الإيمان

والإيمان: لغة: التصديق، وقال بعض أهل العلم: هو الإقرار

واصطلاحاً: اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، عند أهل السنة والجماعة.

أو قُل: قولٌ وعملٌ كما قال السلف.

والمعنى واحد

المؤلف رحمه الله بدأ بكتاب الإيمان لأنَّه أول واجبٍ على العبد وتجب

عليه معرفته، واختلف المسلمون في الإيمان، فأهل البدع خالفوا أهل السنة فيه وتعريف الإيمان على النحو الذي ذكرنا هو أصلٌ من أصول أهل السنة والجماعة وشعارٌ من شعائرهم، لا يكون العبد عندهم من أهل السنة إذا خالف فيه، والإمام البخاري رحمه الله سُنِّي سلفي العقيدة من أهل الحديث، قرر عقيدة أهل السنة في الإيمان، قال ابن تيمية رحمه الله: "وهذا أيضاً مما استشهاد به البخاري في "صحيحه" فإن كتاباً للإيمان "الذي افتتح به" الصحيح "قرر مذهب أهل السنة والجماعة وضمنه الرد على المرجئة فإنه كان من القائمين بنصر السنة والجماعة مذهب الصحابة والتابعين لهم بإحسان" انتهى كلامه رحمه الله

"باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس»"

قال ابن رجب رحمه الله في شرحه على هذا الكتاب: "إنما صدر البخاري كتاب الإيمان بباب: بنى الإسلام على خمس لأنه يرى أن الإسلام والإيمان واحد، فصدره به لينبه على ذلك" انتهى.

وقال أهل العلم أيضاً: "أراد أن يُبيّن أن الإسلام يُطلق على الأفعال" إذا قلنا إن الإسلام والإيمان بمعنى واحد والأفعال داخلة في الإسلام إذا الأعمال من الإيمان.

وقد اختلف أهل السنة في الإيمان والإسلام: هل هما بمعنى واحد أم مختلفان؟

وموضوع الإجماع والاختلاف في المسائل خاصة العقائدية مهم جداً فيجب أن يعرف طالب العلم أين اجتمع أهل السنة والجماعة وأين اختلفوا حتى يتبعهم في ذلك، فما أجمع عليه السلف لا يجوز لأحد أن يخرج عن إجماعهم أبداً، كجماعتهم على أن الإيمان قول وعمل، وإذا اختلفوا فيما كان عندها أن تنظر في أدلة المخالفين وترجح الراجح.

هذه المسألة من المسائل التي اختلف فيها أهل السنة، من نقل الخلاف؟

أقدم من وقفت على نَقله تنصيصاً للخلاف، طبعاً عندما تقف على كلامهم في التفريق بين الإسلام والإيمان تجد الخلاف هذا موجوداً، لكن كتنصيص على الخلاف ذكره أبو بكر الإسماعيلي وهو توفي سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة في كتابه "الاعتقاد"، وذكره أيضاً المرزوقي في "تعظيم قدر الصلاة" وأبن تيمية في كتاب "الإيمان" وأبن رجب في "جامع العلوم والحكمة".

انتبهوا الآن! انظروا الأسماء التي ذكرتها هنا: سلفيون، ما ننقل مسائل الإجماع والخلاف ومسائل في العقيدة عن غير أهل السنة والجماعة.

فهذه المسألة؛ مسألة النقل عن غير أهل السنة والجماعة في هذه القضايا أوقع بعض الأفاضل في الزلل لذلك ينبغي أن تكون حذرين من هذا الموضوع، وسيأتي وسنتكلم عن مسألة الإيمان، لا يكفي أن تعرف أن أهل السنة يقولون بالإيمان قول وعمل وأن المرجئة يقولون بأن الإيمان هو التصديق أو التصديق والقول أو الكلمة أو المعرفة .... إلى آخره، لا يكفي هذا، هناك لوازم تبني على هذه الأقوال ينبغي أن تكون على اطلاع فيها، وهناك أقوال يزعم البعض أنها لوازם وليس بلوازم، هذا كله ينبغي على طالب العلم أن يكون مطلعاً عليه وعارفاً له حتى لا يقع في الزلل.

هؤلاء الأئمة قد نقلوا الخلاف عن أهل السنة والجماعة في هذه المسألة:

**سبب الخلاف: هو اختلاف ظاهر الأدلة**

حقّ المسألة ورجح ما عزاه لجمهور أهل السنة خلافاً للمرزوقي الذي عزا اتحاد المعنى لجمهور أهل السنة، الكلام فيه غموض، دعونا نفصل لكم الموضوع.

حقّ المسألة ورجح الراجح فيها والصواب ابن تيمية رحمه الله في بداية كتاب "الإيمان" بكلامٍ نفيسٍ علميٍّ جيدٍ وموثقٍ.

ما هو قول جمهور أهل السنة والجماعة في هذه المسألة؟ حصل خلاف في هذا الموضوع

- محمد بن نصر المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" نقل عن جمهور أهل السنة أن قولهم هو قول البخاري أن الإسلام والإيمان بمعنى واحد والبخاري ومحمد بن نصر المروزي ممن يتبنون هذا القول.

- ابن تيمية ما وافق على هذا النقل، ابن تيمية يقول: لا، جمهور أهل السنة والجماعة على القول بالراجح الذي سيأتي ذكره إن شاء الله في هذه المسألة وهي: أنهما كلمتان إذا اجتمعتا افترقتا وإذا افترقتا اجتمعتا، بمعنى أن الإيمان والإسلام إذا ذكرتا مع بعضهما كان للإيمان معنى وللإسلام معنى وإذا افترقتا يعني ما ذُكر إلا الإيمان أو ذُكر الإسلام فقط عندئذ يكون المعنى واحداً يشمل كلا المعنيين عند الاجتماع كما سيأتي إن شاء الله.

بعض النصوص يفهم منها أن الإسلام والإيمان شيء واحد وهذه النصوص هي التي استدل بها من قال إن الإسلام والإيمان بمعنى واحد مثل:

- أقوى دليل عند هؤلاء قول الله تبارك وتعالى في سورة الذاريات: {فَأَخْرَجْنَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (35) {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} الكلام عائد إلى نفس المجموعة، سماهم مؤمنين وسمّاهم مسلمين، فاستدلوا بهذا على أن الإيمان والإسلام بمعنى واحد.

- وأيضاً يستدل لهم بأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بني الإسلام على خمس" فذكر الشهادتين والصلوة والصيام والزكاة..... إلى آخره، وجاء في حديث وفد عبدالقيس قال: "أتدرُونَ مَا الْإِيمَانُ بِالله؟" قالوا: الله ورسوله أعلم، فذكر أيضاً الشهادتين والصلوة والزكاة، فاتحد الأمر هنا بنفس المعنى فلذلك يكون معنى الإسلام والإيمان واحداً.

هذه أقوى الأدلة عند الذين يقولون إن الإيمان والإسلام بمعنى واحد.

أما الذين يقولون بأن الإسلام له معنى والإيمان له معنى آخر فيفرقون بينهما:

- فيحتجون بقول الله تبارك وتعالى: {قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكُنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} فهنا فرق بين الأمرين.

- وكذلك في حديث سعد بن أبي وقاص لما قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أعطه فإني أحسبه مؤمنا فقال عليه الصلاة والسلام: "أو مسلماً، فحصل التفريق بين الإيمان والإسلام.

- ولا شك في قول الله تبارك وتعالى: {وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} أن الإيمان داخل في ذلك ولا يختلفون في مثل هذا

إذا هل هما بمعنى واحد أم هما مختلفان؟ هذا في الجملة تستطيع أن تقول: البعض قال هما بمعنى واحد والبعض قال هما مختلفان، لكن الراجح أنه متى ذكر الإيمان وحده شمل الإسلام وإذا ذكر الإسلام وحده شمل الإيمان، أما إذا اجتمعا في الذكر افترقا في المعنى فكان للإيمان معنى وللإسلام معنى: يُطلق الإيمان على ما في القلب كما في حديث جبريل، يُطلق الإيمان على ما في القلب، انظر في حديث جبريل لما اجتمعا كان الإيمان يُطلق على ما في القلب والإسلام يُطلق على ما في الظاهر، وعندما يُذكر الإيمان وحده يشمل ما في القلب وما في الظاهر، وإذا أطلق الإسلام وحده يشمل ما في القلب وما في الظاهر، هذا هو القول الصحيح وبه تجتمع الأدلة وتلتئم.

يبقى عندنا الإشكال في الآية، {فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} (35) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} هنا قد ذكرهما - الإيمان والإسلام - وهما بمعنى واحد وأنتم قلتم بأن الإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا في المعنى.

هذه الآية: {فَأَخْرَجَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} مَنْ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ هُنَّا؟ لوط وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتُهُ لَمْ تُخْرَجْ بَلْ أَمْرَهُ اللَّهُ أَنْ تَبْقَى {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} لَأَنْ امْرَأَةً لَوْطَ كَانَتْ دَاخِلَةً فِي هَذَا الْقَوْلِ، أَمَا فِي الْأُولَى مَا كَانَتْ دَاخِلَةً مِنْ ضَمْنَهُمْ، {فَأَخْرَجَا مِنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} امْرَأَةً لَوْطَ لَمْ تُخْرَجْ فَلَذِكَ مَا دَخَلَتْ هُنَّا، أَمَا {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ} كَانَتْ امْرَأَةً لَوْطَ مَعْهُمْ لَذِكَرٍ سُمِّيَّ بِيَتًا مُسْلِمًا، لِمَاذَا؟ لَأَنَّهَا كَانَتْ فِيهَا تُظَهِّرُ تُظَاهِرَ الإِسْلَامَ لَكُنْ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ لَمْ تَكُنْ مُؤْمِنَةً، فَلَذِكَ فَرَقٌ بَيْنَهُمَا هُنَّا فِي هَذَا الْمَوْضِعِ.

إِذَا الْمَجْمُوعَةُ لَيْسَتْ نَفْسَهَا، فِي الْبَدَائِيَّةِ عِنْدَ وَصْفِ الإِيمَانِ لَمْ تَكُنْ امْرَأَةً لَوْطَ مِنْ ضَمْنَهُمْ، وَعِنْدَ وَصْفِ الإِسْلَامِ كَانَتْ امْرَأَةً لَوْطَ مِنْ ضَمْنَهُمْ، فَحَصِّلَ الْافْتِرَاقُ فِي مَثَلِ هَذَا، بِهَذَا أَجَابَ أَهْلُ الْعِلْمِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ

قالَ الْمُؤْلِفُ رَحْمَهُ اللَّهُ: "وَهُوَ قَوْلٌ وَفَعْلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ":

"وَهُوَ قَوْلٌ وَفَعْلٌ" الضمير عائد على الإيمان، أي: الإيمان قول وفعل ويزيد وينقص.

في رواية الكشميوني - وهو أحد رواة صحيح البخاري كما تقدم:- "قول وعمل" والمعنى واحد، وقيل: الفعل أعم من العمل.

على كل: لفظ السلف - وهذا الذي يهمنا - لفظ السلف: قول وعمل، هكذا جاء عنهم بشكل متواتر، جاء عنهم بالتواتر.

تعريفه بالمعنى الشرعي: هو اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالأركان، فإذا تحققت هذه الأركان الثلاثة في العبد صار مؤمناً وإذا لم تتحقق لا يكون مؤمناً، فلا يجزئ أحد هذه الثلاثة عن الآخر كما قال الإمام الشافعي رحمه الله ونقل عليه الإجماع، أي كل واحد لا بد أن يكون أصله موجوداً عند المؤمن حتى يسمى مؤمناً ودللت أدلة الكتاب وأدلة السنة المتواترة على أن الإيمان يكون بهذه الثلاثة.

قال الإمام الشافعي رحمة الله: [وَكَانَ الْإِجْمَاعُ مِنْ الصَّحَابَةِ وَالْتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مَمَنْ أَدْرَكَنَا هُمْ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ لَلَا يُجزِئُ وَاحِدٌ مِنِ الْثَّلَاثَةِ إِلَّا بِالْلَاخَرِ] انتهى.

ونقل غير واحدٍ من العلماء إجماع السلف على هذا.

ومن قال: الإيمان اعتقاد وقول وعمل ثم قال: يصح الإيمان بلا عمل فقد تناقضَ.

وأنا أنبه هنا على مسألة مهمة الآن: نحن نتحدث عن مسائل علمية، لا نتحدث عن أشخاص، عندما نتحدث عن المسألة العلمية نقرر فيها الصواب بناءً على ما كان عليه الأمر في عهد السلف الصالح رضي الله عنهم، فنحن الذي ندين الله به ولا نجيز لأحد الخروج عنه هو أن المسائل هذه لا يجوز لأحد أن يخرج بما كان عليه السلف الصالح فيها والواجب فيها هو الاتباع فقط، ليس لك أن تجتهد ولا أن تخترع شيئاً من عندك، مازا قال السلف؟ نتبعهم في ذلك.

بعد ذلك: من أخطأ وقال قوللا ردنا عليه قوله، هل هو مبتدع؟ ليس بمبتدع؟ موضوع آخر له مبحثه المستقل، نحن ليس هذا موضوعنا الآن، موضوعنا نقرر مسائل علمية كما قررها السلف رضي الله عنهم واعتمدنا في ذلك على فهم علمائنا له.

السبب المهم في هذه القضية عندما تأتي تقرر مسألة عقائدية ربما يقبلها منك من يسمع، ولكن إذا ذكر الأشخاص دخل التعصب بقوة، وهذا من الأشياء المجرية التي قد عايشناها.

كنت أتحدث مع بعضهم مرّةً من مصر فتحدثنا معه في مسألة علمية في العقيدة سأل عنها هو فذكرت له منهج السلف فيها وأن السلف كانوا يقولون كذا وذكرنا له وأرسلنا له ما قال السلف في هذه المسألة فأقرّ ثم بعد ذلك علم أن شيخه يقول بخلافها فصار يتلاعب في القاعدة وفي الأصل من أجل أن يدافع عن شيخه مع أنه أقر في البداية أنها عقيدة

السلف وأن المنهج منهج السلف.... إلى آخره، لكن لما شيخه خالف في هذه المسألة بدأ يتلاعب في الأصل من أجل شيخه، هذه مصيبة وهذا زلل وضلال، نسأل الله العافية.

لذلك لما يذكر الرجال يدخل التعصب؛ التعصب الشديد الذي ربما يكون سبباً لهلاك صاحبه، لكن لا يعني ذلك أننا لا نذكر الأشخاص ولا نحذر من الأشخاص، لا طبعاً كل شيء له محله والواجب يجب أن يؤدى، يتعصب من تعصب ويترك من ترك، لكن الآن نحن نقرر المسائل العقائدية لأننا نحن درس علمي الآن نقرر فيه المسائل كما قررها السلف الصالح رضي الله عنهم، فلا تربط الآن كلامي في ذهنك بزيد أو عبيد، الآن خذ المسألة من أجل أن تتلقاها عن سلفك الصالح رضي الله عنهم بغض النظر عن الأشخاص الذين يعيشون اليوم وماذا قالوا، ليس موضوعنا الآن.

الإيمان اعتقاد وقول وعمل، هل السلف كانوا يقولون هذا من باب أن العمل كمالي؟ يعني أنه إذا وجد في الإيمان كمله وإذا لم يوجد بقي أصل الإيمان؟ هذا لا ي قوله سلفي أبداً؛ يعني أحد من علماء السلف، لا يقولون هذا الكلام، هذا كلام باطل عند السلف، لأن السلف عندهم شيء اسمه التلازم، أيش يعني التلازم؟ يعني قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إلا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد، إلا وهي القلب" إذا عندهم شيء اسمه وجود إيمان باطن بدون إيمان ظاهر كلام فارغ، لا يوجد منه هذا الكلام، الإيمان الظاهر والإيمان الباطن متلازمان مرتبطان ببعضهما وجوداً وعدمًا كمالاً ونقصاً، وجوداً وعدمًا كمالاً ونقصاً وليس فقط كمالاً ونقصاً بل وجوداً وعدمًا أيضاً، فإذا انتفى الإيمان الظاهر انتفى الإيمان الباطن تلقائياً، إذا انتفى الإيمان الباطن انتفى الإيمان الظاهر، انتهى الأمر، تلازم وارتباط لا تغييه عن ذهنك أبداً.

ما قاله الحافظ ابن حجر رحمه الله ونسبه إلى السلف باطل؟ قال:

السلف يقولون الإيمان اعتقاد وقول وعمل، ويعنون أن العمل شرط كمال، قال: والمعتزلة يقولون -عندما ذكر الفرق بين قول أهل السنة وقول المعتزلة- قال: المعتزلة أيضاً يقولون الإيمان اعتقاد وقول وعمل لكن العمل عندهم أصلٌ في الإيمان؛ شرطٌ في صحة الإيمان هكذا قال، أما أهل السنة قال: يقولون الإيمان عندهم شرط في كمال الإيمان، وهذا باطل.

أنت لا تأخذ مذهب أهل السنة ومذهب السلف عن رجل قد عُرف بمخالفته للسلف في العقيدة، وسيأتي إن شاء الله وأذكر لكم أمثلة على مخالفة الحافظ ابن حجر للعقيدة، لأن البعض صار يوالي ويعادى على أنك إذا قلت: الحافظ ابن حجر ليس على عقيدة السلف: يوالي ويعادى، ومشكلة هذه كبيرة لأن هذا القول كان سبباً في ضلال الكثير من الشباب اليوم، يقول: الحافظ ابن حجر من أهل السنة والجماعة وينذهب ويأخذ منه العقيدة لأنك قلت أنت بأنه من أهل السنة والجماعة، إذاً معنى ذلك أطمئن لعقيدته وأخذ عنه، هذا باطل الكلام.

السلف ما عندهم هذا الخلط والخبط الموجود الآن، لا يوجد إما سلفي أو غير سلفي، لا يوجد عندي حاجة ثالثة، أنت سلفي: معناها تقرر عقيدة أهل السنة والجماعة.

لا والعجب أن النwoي رحمه الله يقول: [قال أصحابنا المتكلمون] ثم يقرر عقيدة الأشاعرة ويأتي يقول لك: النwoي ليس أشعري، كيف ليس أشعري يا أخي؟! أنت كيف تتكلم؟ ما أفهم، تتكلم بدليل بيراهين تتكلم بعلم أم تتكلم بتعصب فقط؟ اذهب واقرأ للنwoي، النwoي صريح يقول لك: قال أصحابنا المتكلمون، هو ينسب نفسه إلى المتكلمين، ولما يذكر يذكر عقيدة أشعرية صافية، يعطيك صافي ليس كالحافظ ابن حجر، الحافظ ابن حجر يعطيك مخلط، أما النwoي يعطيك إياها صافية عقيدة أشعرية، عجيب تجد شخصاً يدافع ويذب ويyoالي ويعادى، ما يكفيه فقط يقول لك لا ربما ولعل وبعض العلماء دافع وكذا، خطأ هذا الكلام، أنت

عندما تأتي وتقول: النووي عقیدته أهل السنة والجماعة وابن حجر عقیدته أهل السنة والجماعة؛ أنت تغرس بالناس، الناس عندما يأتون يقرؤون للنووي ويقرؤون لابن حجر يظنّون أن العقيدة المقرّرة من كلامهم هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، هذا كلام باطل.

نعم لا إفراط ولا تفريط، نحن لا نريد هذا، حن نريد أن نتعامل مع الجميع على ميزان واحد؛ ميزان السلف رضي الله عنهم، لكن في نفس الوقت لا نريد أن نقع في غلو الحدّادية نقول لك اذهب وحرق كتب ابن حجر وكتب النووي وغيره، نحن نستفيد من كتب ابن حجر والنووي لكن لا ننصح طلبة العلم المبتدئين أن يقرؤوا في كتبهم لأنّه لا يستطيع التمييز، وإن ميّزَ ر بما تدخل عليه شبهة تضيّعه، ما يعرف كيف يردها، فلا ننصحه أن يقرأ، يقرأ لك أهل العلم ويعطونك الخلاصة الصافية النقية، هذا ما ننصح به، فلا إفراط ولا تفريط لا في ابن حجر ولا في النووي ولا في غيرهم.

لأن المدة الزمنية تلك؛ القرن السابع والثامن والتاسع، هذه المدة أكثر الكتب التي وصلتنا من هذه القرون، وهذه القرون كانت قد انتشرت فيها الأشعريّة لأسباب كثيرة ليس هذا وقت ذكرها الآن.

كثير من كتب السلف -من الكتب السلفية- ما وصلتنا، وصلنا -الحمد لله- كثير منها واستفادنا منها وما زالت موجودة والحمد لله، والذي يحتاج إليه وصل لكن كثيراً منها أيضاً لم يصل، لأن المدة الزمنية طويلة بعيدة وكلما بعُدت المدة كلما فُقدت.

تعرفون أنتم الأسباب كثيرة التي أدت إلى فقدان الكتب ومنها دخول التتار ودخول النصارى على الأندلس وغيرها كثير جداً، أضاعوا كتبًا كثيرة جداً، كذلك النصارى لما دخلوا بلاد الإسلام أخذوا كتبًا كثيرة وضيّعواها، هناك أسباب كثيرة، لكن -الحمد لله- الدين محفوظ والكتب التي قررت لنا منهج السلف وعقيدة السلف كلها محفوظة وموجودة بفضل الله سبحانه وتعالى.

لكن أنا أجيب عن شبهة لبعضهم يقول لك: ها الشرّاح كلهم أشاعرة، بعضهم يقول هذا، يقول: شرّاح الأحاديث كلهم أشاعرة، لا ما هم كلهم أشاعرة، الكتب التي وصلتك ووصلتك المدة الزمنية مدة الأشاعرة، كانت لأسباب انتشرت الأشعرية.

حاكم واحد لو يستلم البلد يحول البلد إلى عقيدته، انظروا إيران، أيش كانت إيران؟ أخرجت من علماء الأمة الشيء الكثير، علماء وأئمة وعباد وزهاد من أهل السنة والجماعة حتى احتلها الصفوية حولوها إلى رافضة، هذه الحال، حاكم يمسك بلاد يحولها، في بعض البلدان مسكتها أشاعرة وحولوها إلى أشعرية، هذا موجود أسباب كثيرة، غير مهم الآن، لأن الذي يهمّنا ما هو الدليل؟

الدليل ليس كثرة من خالف السنة في زمن معين، الدليل: النبي صلّى الله عليه وسلم ماذا قال؟ قال: [خَيْرُ النَّاسِ قَرْنَيٌ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونُهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ] ثم ذم القرون التي بعد، فنحن نحاجّك بأصحاب القرون الثلاثة الأولى الذين أثني عليهم النبي صلّى الله عليه وسلم لأن هذا الدليل، وليس بالكثرة مهما كثرت، أهل البدع أهل الضلال المخالفين للسنة مهما كثروا الحق ليس معهم، الحق مع أصحاب القرون الثلاثة الأولى ونحن نتحاكم إليهم في كل خلاف يقع في أي مسألة شرعية نتحاكم إليهم وننظر ماذا قالوا وقولهم هو الفاصل في الموضوع حتى لو خالفنا أحد أئمة أهل السنة الذي نعتقد فيه الإمامة ونعتقد فيه التقوى والصلاح والسنة..... إلى آخره، إذا خالف في مسألة من المسائل لم نجد أحداً من السلف رضي الله عنهم قال بها نترك قوله.

هل هذا يتعلق بمسألة قضية التبديع أو عدم التبديع؟ هذه قد ذكرنا ضوابطها في موضوعها ليس هذا موضوعها، هذا الضابط، نحن الضابط هذا نريد أن نتفق عليه ونمشي عليه: أي خلاف يحدث نرجع فيه إلى منهج السلف الصالح، أيش قرروا؟ نمشي مع هذا، وهذه كذلك.

اليوم عقيدة الإرجاء انتشرت بكثرة حتى بين العامة تأتي تكلم العالمي

تقول: اتق الله، صل، صوم، كذا يقول لك: الإيمان في القلب، موجود ولا ليس موجود؟ وبكثرة، هذا مذهب المرجئة نفسه، عينه، وهذا ما كان يخشاه السلف رضي الله عنهم لما نشأ مذهب الإرجاء، إلى أى شئ يؤدي؟ يزهدون في العمل، مذهب الإرجاء يزهد في العمل، فإذا زهدت في العمل ضاع الدين، ما بقي شيء، وهذا الذي طبقه العامة تماماً.

تأتي تكلمه في مسائل الدين يقول لك: الإيمان في القلب، إذا سكر على الباقي خلاص، الإيمان في القلب اذهب أعمل السبعة وذمتها ما في مشكلة لأن الإيمان في القلب، وهذا مردود بقول النبي ﷺ، لو كان الإيمان موجود في القلب لوجد على الظاهر (ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) إذاً كلام باطل هذا، وهذا الذي قرره الإمام البخاري في صحيحه رد على المرجئة لخطورة عقيدة الإرجاء.

هل تعلمون أن عقيدة الإرجاء عند السلف أخطر من عقيدة الخوارج؟! أنا ما أتكلم من عندي، بإمكانك لأي جملة أعطيك إياها طالب بمن قالها من السلف، أعطيك من قال بها من السلف، أحد الذين قرروا هذا إبراهيم النخعي تابعي، قال بمعنى كلامه: بأن عقيدة الإرجاء أو مذهب المرجئة أخطر على أهل الإسلام من منهج الأزارقة، وغيره أيضاً قال هذا، لماذا؟ لأنه يؤدي إلى ضياع الدين، ما في أحكام، ما في صلاة ولا صيام ولا زكاة ولا حج ولا شيء، خلاص إيمانك في القلب أنت مصدق انتهى الأمر خلاص، افعل ما تشاء، مذهب خطير جداً، ونحن لا نتكلم في خيال ولا نتكلم في مسائل قد انتهت، أو فرق قد انقضت، لا، اليوم على قدم وساق فرقة الخوارج وفرقة المرجئة بكثرة، وعندها هنا في الشام.

أجدادكم في الشام هنا خاصة كانوا من أشد الناس على المرجئة، ما الذي قلب الأمور عندكم؟! حتى صرنا، طبعاً أنا لا أتكلم عنمن لا يزعم أنه سلفي أصللاً، هذا مُنتهٌ أمره، أشعري ماتريدي غيره ليس هذا موضوعنا مُنتهٌ أمرهم، لكن ممن يزعمون أنهم سلفيون، وجد في هذا البلد من وصل إلى القول صراحة أن الإيمان قول واعتقاد فقط، صراحة، ويقول

لَكَ: أَنَا سَلْفِيٌّ، هَذَا أَخْطَرُ مِنَ الْمَرْجَى الصَّافِيِّ، ذَاكَ يَقُولُ لَكَ أَنَا مَرْجَىٌ، أَنَا أَعْتَدُ أَنَّ الْأَعْمَالَ لَيْسَ مِنَ الْإِيمَانِ وَأَنَا عَلَى طَرِيقَةِ الْمَرْجَى وَلَسْتُ سَلْفِيًّا، انتَهَى الْمَوْضُوعُ خَلاصًّا، أَنْتَ عَرَفْتَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ مِنْتَهِ الْمَوْضُوعِ، عَرَفْتَ هَذَا مِنْهُ وَيَقُولُ لَكَ بِصَرِيحِ لِسَانِهِ، أَمَا هَذَا فَلَا، هَذَا يَقُولُ لَكَ أَنَا سَلْفِيٌّ، يَعْنِي هَذَا يَغْرِي بِالشَّابِ وَيَخْدُعُ الْمُطَلَّبَ، يَقُولُ لَكَ أَنَا سَلْفِيٌّ ثُمَّ يَقْرَرُ لَهُمْ عِقِيدَةَ الْمَرْجَى، هَذَا خَطِيرٌ جَدًّا.

فَكَمَا نَحَارِبُ الْخَوَارِجَ وَعِقِيدَةَ الْخَوَارِجِ، نَحَارِبُ الْإِرْجَاءَ وَعِقِيدَةَ الْمَرْجَى، لَأَنَّ خَطَرَ كَلَا الْفَرْقَتَيْنِ الْيَوْمَ فِي تَزَايِدٍ، وَفِي اِنْتَشَارِ كَبِيرٍ، لَا مَا فِي الْأَمْوَارِ وَاضْحَى، كَلَامُ السَّلْفِ وَاضْحَى وَصَرِيحٌ، أَقْرَأً فَقَطُّ، لَا تَذَهَّبُ تَعْلُقُ بِالْمُتَشَابِهَاتِ.

فَهُمُ هَذَا الْكَلَامُ يُرْجِعُ فِيهِ إِلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، يَأْتِيكَ شَخْصُ الْيَوْمِ يَقُولُ لَكَ: إِيمَانُ قَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ وَعَمَلٍ ثُمَّ يَقُولُ لَكَ الْكُفُرُ هُوَ التَّكْذِيبُ، هَلْ هَذَا فَاهِمٌ أَيْشَ يَقُولُ؟ هَذَا لَيْسَ فَاهِمًا مَاذَا يَقُولُ، هَذَا مَا دَخَلَ عَلَى الْعِلْمِ مِنْ بَابِهِ؛ لَأَنَّ حَتَّى الْمَرْجَى لَا تَقْبِلُ بِهَا الْكَلَامُ، وَلَا يَقْبِلُهُ أَهْلُ السَّنَةِ، وَلَا يَقْبِلُهُ خَارِجيٌّ، وَلَا يَقْبِلُهُ أَحَدٌ عِنْدَهُ عِلْمٌ.

اللَّوَازِمُ كَانَتْ مَضْبُوطةً عِنْدَهُمْ، الْمَرْجَى عِنْدَهُمْ يَقُولُ لَكَ الْأَعْمَالُ لَا تَدْخُلُ فِي إِيمَانٍ يَعْرُفُ لَوَازِمَ هَذَا الْكَلَامِ وَيَنْضُبِطُ بِهِ، فَلَمَّا جَاءَ الْمَرْجَى وَقَالَ إِيمَانُهُ التَّصْدِيقُ مُبَاشِرًا اِنْضُبِطَ مَعَكَ فِي الْكُفُرِ وَقَالَ لَكَ الْكُفُرُ هُوَ التَّكْذِيبُ، مُنْضَبِطًا لِلْأَمْوَارِ عِنْدَهُ، هَذَا ضَدُّهُ هَذَا خَلاصُ انتَهَى الْأَمْرُ.

أَمَا يَأْتِيكَ شَخْصٌ يَقُولُ لَكَ إِيمَانُ قَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ وَعَمَلٍ وَبَعْدَهَا يَقُولُ لَكَ الْكُفُرُ هُوَ التَّكْذِيبُ، كَيْفَ تَرْكِبُ مَعَكَ هَذِهِ؟! لَأَنَّ إِيمَانَهُ هُوَ نَقِيسُ الْكُفُرِ، وَالْكُفُرُ ضَدُّهِ إِيمَانٌ، فَأَيْشَ عَرَّفَتِ إِيمَانَ تَعْرِفُ بِضَدِّهِ الْكُفُرِ وَهَكُذا، الْأَمْوَارُ مُنْضَبِطَةٌ، أَمَا الْفَوْضَىُّ هَذِهِ وَالْخَلَطُ وَالْخُبْطُ الْحَاصِلُ الْيَوْمَ هَذَا مَا كَانَ مَوْجُودٌ قَدِيمًا.

الْإِجْمَاعُ مَنْقُولٌ مِنَ السَّلْفِ أَنَّ السَّلْفَ لَا يَصْحُ بِلَا عَمَلٍ، قَالَ أَبْنُ رَجَبٍ:

في " الإيمان قول وعمل": وهذا كله إجماع من السلف وعلماء الحديث. وقد حكى الشافعى إجماع الصحابة والتابعين عليه وحكى أبو ثور الإجماع عليه أيضاً. وقال الأوزاعي: كان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل وحکاه غير واحد من سلف العلماء عن أهل السنة والجماعة. وممن حكى ذلك عن أهل السنة والجماعة: الفضيل بن عياض، ووكيع بن الجراح. وممن روی عنه أن الإيمان قول وعمل: الحسن، وسعيد بن جبير، وعمر بن عبد العزيز، وعطاء، وطاوس، ومجاحد، والشعبي، والنخعي، وهو قول الثوري، والأوزاعي، وابن المبارك، ومالك، والشافعى، وأحمد، وإسحاق، وأبي عبيد، وأبي ثور.

هذا قليل، ارجعوا إلى السنة للخلال، السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد، الشريعة للأجري، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، الحُجة في بيان المحة للأصبhani، الإبانة لابن بطة، وغيرها كثير، ستجدون النقولات بكثرة عن أئمة السنة في هذا.

قال: "قول وعمل" قول القلب واللسان، وعمل القلب واللسان والجوارح.  
فالقول للقلب واللسان، والعمل للثلاث.

هذا ما يعنيه قول وعمل، أيش معنى قول وعمل؟  
المقصود بقول القلب الذي هو التصديق، تصديقه، هذا واحد.  
الإيمان عند أهل السنة مركب: أولاً التصديق، هذا قول القلب.  
قول اللسان: المقصود النطق بالشهادتين.

عمل القلب: والمقصود بذلك أعمال القلوب من الإخلاص والحب والبغض والخوف والرجاء والتوكّل كل هذا وأشباه ذلك، كل هذه من أعمال القلوب.

و عمل اللسان كقراءة القرآن والأذكار والتسبيح والتهليل والاستغفار وما شابه، هذا من عمل اللسان.

**وأما أعمال الجوارح كالصلوة والصيام والزكاة والحج وما شابه.**

قال: "ويزيد وينقص" الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، كل ما تعبد العبد زاد إيمانه، وإذا ترك عبادة واجبة، أو فعل معصية نقص إيمانه، وأدلة ذلك في الكتاب والسنة كثيرة.

فيه نقصان: قلنا يزيد وينقص أيضاً، ونركز على النقصان أيضاً، كما قال النبي ﷺ للنساء (ما رأيت من ناقصات عقل ودين من إحداكن) وقال ﷺ (أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان)

فينقص الإيمان ويزيد، هذه عقيدة أهل السنة والجماعة، وقد ثبت لفظ الزيادة والنقصان فيه عن الصحابة رضي الله عنهم، ولم يعرف فيه مخالف من الصحابة، طبعاً السلف كلهم على هذا.

الإمام مالك ورد عنه لفظ الزيادة وتوقف في النقص في رواية، وقال بعض أهل العلم السبب في ذلك أنه وجد في القرآن ذكر الزيادة ولم يجد النقصان؛ لكن في رواية أخرى ثانية عنه يوافق فيها أئمة السلف ويقول بالزيادة والنقصان.

خالف في ذلك المرجئة فقالوا: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وإيمان الخلق متساوٍ؛ فلا يتفاضل إيمان أبي بكر وعمر وإيمان الفاسق، بناءً على قولهم أن الإيمان هو التصديق بالقلب أو التصديق بالقلب واللسان، وذلك لا يتفاضل عندهم.

إذاً أمرُّ مهْمَّ أن نعرف أن المرجئة والخوارج قد اجتمعوا في أصل واحد وهذا من العجائب طبعاً، هما قولان متناقضان؛ لكن اجتمعوا في أصل واحد: وهو أن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ، إذا ذهب بعضه ذهب كله.

هذا الأصل قد اتفقت عليه المرجئة والخوارج إلا أن المرجئة قالوا: هو تصديق القلب أو هو تصديق القلب وقول اللسان أو قول اللسان فقط أو هو المعرفة هي أقوال المرجئة.

بالجملة أقوال المرجئة ثلاثة:

أحدها: أن الإيمان هو ما في القلب فقط

الثاني: أن الإيمان هو ما على اللسان

الثالث: أن الإيمان ما في القلب وما على اللسان

في الجملة هذه أقوال المرجئة، وأجمعت المرجئة على أن أعمال الجوارح ليست من الإيمان، هذه خلاصة أقوال المرجئة.

وهذه الأقوال لها لوازם، منها: الزيادة والنقسان، لما كانت المرجئة لا تقول بإدخال أعمال الجوارح في الإيمان قالوا أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، إذاً عندهم الإيمان هو التصديق، والتصديق قد أتينا به إذاً قد انتهى الأمر، هذا على قول بعضهم، الإيمان هو التصديق، والتصديق قد جاء إذاً انتهى الأمر، ما عاد في لا زيادة ولا نقسان.

أهل السنة والجماعة من السلف قالوا: يزيد وينقص بالنظر إلى أعمال الجوارح، وهذه مسألة مهمة جدًا.

يوجد خلطٌ نتجَ عن بعض الأشاعرة ومن سلك مسلكهم في بعض الأقوال، يعني مثلاً عندما تأتي عند قول المرجئة في الزيادة والنقسان أو في الاستثناء، الاستثناء في الإيمان، يعني تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، عند أهل السنة والجماعة يقولون نعم يجوز الاستثناء في الإيمان، تقول: أنا مؤمن إن شاء الله، المرجئة يقولون لا يجوز الاستثناء في الإيمان، لماذا؟ يقولون الإيمان: التصديق؛ فلا معنى للاستثناء إلا الشك، وإذا شككت في إيمانك فأنت كافر، لهذا قالوا لا يجوز الاستثناء في الإيمان، هذا قول المرجئة.

قال أهل السنة والجماعة: يجوز الاستثناء في الإيمان على اعتبار زيادة الإيمان بالأعمال ونحسنه وأنك لم تأت بالإيمان بالأعمال كاملة؛ فيكون بناء على ذلك الاستثناء عند أهل السنة والجماعة يكون عائدًا على

الأعمال؛ إذ إنك تقول أنا مؤمن إن شاء الله: إن شاء الله أكمل إيماني بأعمالي، هذا عند أهل السنة والجماعة.

جاء الأشاعرة فوجدوا، طبعاً الأشاعرة مرجئة يقولون الإيمان هو التصديق؛ فأشكل عليهم الأمر أن السلف يجيزون الاستثناء، والمرجئة الذين هم منهم لا يجيزونه؛ لكن لا يريدون أن يخالفوا السلف، فماذا فعلوا؟ جاؤوا بقول حاولوا فيه أن يجمعوا بين الأمرين فأجازوا الاستثناء على اعتبار الموافاة، فصار الاستثناء عندهم ليس راجعاً إلى العمل، عمل الجوارح، على اعتبار الموافاة يعني ما الذي ستموت عليه، يقول أنا مؤمن إن شاء الله لأنني لا أدرى على ماذا سأموت، على الإيمان أو على غيره، ما الذي سأوافي به الله سبحانه وتعالى يوم القيمة، حرفوا المعنى وقلبوا الأمر إلى معنى آخر، هذا معنى صحيح لا شك لكن ليس هو مراد السلف بالاستثناء لما ذكروا الاستثناء، فيأتيك هذا ويقول لك أنا أستثنى تظن أنه يوافق السلف في هذا، لا هو في المعنى لا يوافق السلف وإن وافقهم لفظاً.

فلذلك تنتبه لهذه القضية، من يوافقك لفظاً لكن من حيث المعنى لا يوافقك؛ بل هو يخالفك، كمسألة الإيمان يزيد وينقص هذه، يزيد وينقص بناء على أن أعمال الجوارح داخلة في الإيمان، وأنا إذا قلت أنا مؤمن إن شاء الله يعني إن شاء الله أني أكمل إيماني بأعمالي، وليس عائداً إلى أصل التصديق حتى نقول هو شكّ، لا.

ممكن تجد بعض المرجئة يقولون الإيمان يزيد وينقص؛ لأن بعضهم يقول مستحيل أن أكون مرجئاً وأنا أقول أن الإيمان يزيد وينقص وهو يقرر بعض مسائل الإرجاء، فلما تأتي تستدل عليه يقول لا مستحيل، أنا أقول الإيمان يزيد وينقص، والإمام أحمد قال: من قال الإيمان يزيد وينقص فقد برئ من الإرجاء أوله وآخره، هذا الإمام أحمد قاله لما ما كانت الناس في زمانه متناقضة، الإمام ما يعرف الناس المتناقضين هؤلاء لأنهم ما كانوا موجودين في زمنه، المتناقضون الذين جاء

تناقضهم بسبب جهلهم في هذه المسائل هؤلاء جاؤوا في زمننا، لذلك تجد شخصاً يلفق لك الأقوال من هنا ومن هناك موجود هذا، وإن لم يكن موجوداً في عهد الإمام أحمد.

يوجد من بعض المرجئة من يقول الإيمان يزيد وينقص؛ لكن على اعتبار ماذا؟ هنا المهم في الموضوع، على أي أساس قلت الإيمان يزيد وينقص؟ هذا يهمني، لما تأني تجيز الاستثناء في الإيمان على أي أساس بنيت هذا الموضوع، هذا مهم جداً، وهو فارق، لما جاء وقال الإيمان يزيد وينقص رجعه إلى أعمال القلوب،رأيت كيف؟! وطبعاً غالباً المرجئة، جمهور المرجئة يدخلون أعمال القلوب في الإيمان،

جمهورهم، هذا نقله ابن تيمية رحمه الله عن جمهورهم، وإن كان البعض منهم عزاه للجهمية والصالحي ومن معه، قال: هؤلاء لا يدخلون أعمال القلوب في الإيمان؛ لكن جمهور المرجئة يدخلون أعمال القلوب في الإيمان، قال: أجاز بعض المرجئة زيادة الإيمان ونقصانه على اعتبار أن أعمال القلوب تزيد وتنقص، رأيت عندما يأتي ويقول لك الإيمان يزيد وينقص تظنه قرر عقيدة السلف، عقيدة أهل السنة والجماعة لا، المعنى الذي نظر إليه مختلف عن المعنى الذي نظر إليه السلفي، إذاً هو لم يوافقهم حقيقة وإن وافقهم في الظاهر.

الإيمان عند أهل السنة والجماعة يزيد وينقص بناء على أعمال الجوارح، هل يزيد وينقص بناء على التصديق، هل التصديق يزيد وينقص؟ هل القول يزيد وينقص؟ هل أعمال القلوب تزيد وتنقص؟ سيأتي النقل عن الإمام أحمد في هذا الأمر إن شاء الله.

عامة السف والأئمة عندهم أن إيمان العباد لا يتساوى، بل يتفضل، وإيمان السابقين الأولين أكمل من إيمان أهل الكبائر المجرمين.

سبب الخلاف: كما ذكرنا أنهم لا يدخلون أعمال الجوارح في الإيمان، والسلف يدخلون أعمال الجوارح في الإيمان لذلك عندهم يتفضل، وهذا لا نزاع فيه بين السلف؛ بل هو الفارق بين السلفي والمرجئي، أعمال

الجواح تدخل في الإيمان أو لا تدخل في الإيمان.

السبب الثاني: خالف فيه بعضهم، وهو أن ما في القلب من الإيمان هل يتغاضل؟ فلما قالوا لا يتغاضل نفوا زيادة الإيمان ونقصانه، هذا خلاصة ما ذكره ابن تيمية رحمه الله.

ثم ذكر الآيات: "قَالَ اللَّهُ تَعَالَى {لَيَزِدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ} {وَزُدْنَاهُمْ هُدًى} {وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدُوا هُدًى} {وَالَّذِينَ اهْتَدُوا زَادُهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ}"

يحتاج الإمام البخاري رحمه الله على من يقول أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، يحتاج عليهم بهذه الآيات الصريحة في زيادة الإيمان، وتلقائيا عند أهل العلم جمياً أن ما يزيد فهو ينقص، وهذا قد نصوا عليه، وقالوا كل شيء بما أنه يزيد فهو ينقص.

والمراد بالهدى هنا: فعل الطاعات، كما قال تعالى بعد وصف المتقين بالإيمان بالغيب وإقام الصلاة والإنفاق مما رزقهم والإيمان بما أنزل على محمد وإلى من قبله وباليقين بالأخرة ثم قال: {أولئك على هدى من ربهم} فسمى ذلك كله هدى، فمن زادت طاعته فقد زاد هداه.

ذكر الآيات الأخرى {وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} إلى آخره، هذه الآيات كلها تنص على زيادة الإيمان، وما يزيد ينقص.

والسلف استدلوا بهذه الآيات على زيادة الإيمان ونقصانه، كما في كتب السنة، وذكر القاسم بن سلام تحريفات أهل البدع لهذه الآيات كي ينفوا زيادة الإيمان ونقصانه، ثم قال: [وَكُلُّ هَذِهِ الْأَقْوَالِ لَمْ أَجِدْ لَهَا مُسَدِّقاً فِي تَفْسِيرِ الْفُقَهَاءِ وَلَلَا فِي كَلَامِ الْعَرَبِ] فلا مجال لتجزيفها، معروفة أن أهل البدع عندما تواجههم الآيات والأحاديث الصريحة في مخالفة معتقدهم يحرفونها، فلما حرفوها نقل تحريفهم هنا ونحن لا نريد أن نذكره، من احتاجه يرجع إليه في كتاب القاسم بن سلام؛ لكن ذكر هذا وقال لا يوجد مصدق في تفسير الفقهاء ولا في كلام العرب أيضاً، لا في

اللغة العربية ولا في كلام العلماء؛ إِذَا فكلامهم باطل.

القول والمعرفة بالقلب هل تزيد وتنقص؟

قال ابن رجب رحمه الله: [على قولين: إِذَا يوجد خلاف في المسألة أحدهما: أنها لا تزيد ولا تنقص. قال يعقوب بن بختان : سألت أبا عبد الله -يعني أحمد بن حنبل- عن المعرفة] يريدون بالمعرفة التصديق [والقول: يزيد وينقص؟ قال: لا، قد جئنا بالقول والمعرفة ويقي العمل. ذكره أبو بكر الخلال في كتاب "السنة"] طبعاً الكلام كله لابن رجب الآن [ومراده بالقول: التلفظ بالشهادتين خاصة] هذا القول الأول أنه لا يزيد ولا ينقص لا القول ولا المعرفة التي هي التصديق [والقول الثاني: أن المعرفة تزيد وتنقص] يعني التصديق [قال المروذى: قلت لأحمد في معرفة الله بالقلب تتفاضل فيه؟ قال: نعم، قلت: ويزيد؟ قال: نعم.....]

[وتفسر زيادة المعرفة بمعنىين:] يفسّرها ابن رجب رحمه الله، يعني زيادة التصديق كيف يزيد التصديق؟ يفسّرها قال: [بمعنىين: أحدهما: زيادة المعرفة بتفاصيل أسماء الله وصفاته وأفعاله وأسماء الملائكة والنبيين والكتب المنزلة عليهم وتفاصيل اليوم الآخر. وهذا ظاهر لا يقبل نزاعاً] يعني من آمن باليوم الآخر بشكل مجمل ليس كمن من آمن باليوم الآخر وتفاصيل ما يحدث فيه مما ورد في الكتاب والسنة؛ فإيمان الثاني أعظم أكمل من إيمان الأول

قال: [والثاني: زيادة المعرفة بالوحدانية بزيادة معرفة أدلةها، فإن أدلةها لا تحصر، إذ كل ذرة من الكون فيها دلالة على وجود الخالق ووحدانيته، فمن كثرت معرفته بهذه الأدلة زادت معرفته على من ليس كذلك] تأمل في هذا الكون، كلما تأملت زيادة عرفتَ عظم خلق الله وقدرته تبارك وتعالى فزاد إيمانك [وكذلك المعرفة بالنبوات واليوم الآخر والقدر وغير ذلك من الغيب الذي يجب الإيمان به، ومن هنا فرق النبي صلي الله عليه وسلم بين مقام الإيمان ومقام الإحسان، -يعني في حديث جبريل- وجعل مقام الإحسان أن يعبد العبد ربّه كأنه يراه، والمراد: أن ينور قلبه

بنور الإيمان حتى يصير الغيب عنده مشهوداً بقلبه كالعيان.

وقد ذكر محمد بن نصر المروزي في "كتابه" أن التصديق يتفاوت وحکاه عن الحسن، والعلماء وهذا يشعر إجماعاً عنده] انتهى كلام ابن رجب رحمه الله.

والحق أن أعمال الجوارح والقلوب والتصديق كل ذلك يتفاوت ويزيد الإيمان وينقص به.

قول اللسان إن كان المقصود به الشهادتان للدخول في الإسلام فقط؛ فهذه لا تزيد، أما إن كان المقصود به الشهادتان سواء كانت التي تدخل فيها بالإسلام أو غير ذلك من الأذكار فهذا لا شك أنه يزيد.

قال ابن تيمية رحمه الله: [ثُمَّ نَفْسُ التَّصْدِيقِ أَيْضًا مُتَفَاضِلٌ مِنْ جِهَاتٍ: مِنْهَا أَنَّ التَّصْدِيقَ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ يَكُونُ مُجْمَلاً وَقَدْ يَكُونُ مُفَصَّلًا؛ وَالْمُفَصَّلُ مِنْ الْمُجْمَلِ؛ فَلَيْسَ تَصْدِيقُ مِنْ عَرَفَ الْقُرْآنَ وَمَعَانِيهِ وَالْحَدِيثَ وَمَعَانِيهِ وَصَدَقَ بِذَلِكَ مُفَصَّلًا كَمَنْ صَدَقَ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ بِهِ لَا يَعْرِفُهُ أَوْ لَا يَفْهَمُهُ]

يعني من كان عالماً ليس كمن كان جاهلاً بهذه التي ذكرها [وَمِنْهَا: أَنَّ التَّصْدِيقَ الْمُسْتَقْرَرُ الْمَذْكُورُ أَتَمُ مِنْ الْعِلْمِ الَّذِي يُطَلَّبُ حُصُولُهُ مَعَ الْغَفْلَةِ عَنْهُ].

وَمِنْهَا: أَنَّ التَّصْدِيقَ نَفْسَهُ يَتَفَاضَلُ كُنْهُهُ] يعني حقيقة التصديق نفسه يتتفاصل [فَلَيْسَ مَا أَثْنَى عَلَيْهِ الْبُرْهَانُ بِلْ تَشَهُّدُ لَهُ الْلَّاعِيَانُ وَأَمْيَطَ عَنْهُ كُلُّ أَذْيَ وَحُسْبَانٌ حَتَّى بَلَغَ أَعْلَى الْدَّرَجَاتِ؛ دَرَجَاتُ الْلَّايِقَانِ كَتَصْدِيقِ زَعْزَعَتِهِ الشُّبُهَاتُ وَصَدَفَتُهُ الشَّهْوَاتُ وَلَعَبَ بِهِ التَّقْلِيدُ وَيَضُعُفُ لَشَبِهِ الْمُعَانِدِ الْعَنِيدِ وَهَذَا أَمْرٌ يَجِدُهُ مِنْ نَفْسِهِ كُلُّ مُنْصِفٍ رَشِيدٍ]

باختصار مسألة واحدة ممكن أنا أكون على يقين منها وتصديق تام؛ إذ

إن الشبهات لم تعرinya ولا فيها أي إشكال دخل عليها ما في عندي معها أي مشكلة، أما آخر فهو يؤمن بنفس المسألة لكن طرأ عليها من الشبهات ما طرأ، وطرأ عليها من الإشكالات ما طرأ، فهل تصدق هذا كتصديق هذا؟ لا يجتمعان.

قال: [ولهذا كانَ الْمَشَايخُ - أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْتَّحْقِيقِ السَّالِكُونَ إِلَى اللَّهِ أَقْصَدَ طَرِيقَ - مُتَفَقِّيْنَ عَلَى الْزِيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ فِي الْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ كَمَا هُوَ مَذَهَبُ أَهْلِ السُّنْنَةِ وَالْحَدِيثِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَهَذِهِ مَسَائِلٌ كَبَارٌ لَا يُمْكِنُ فِيهَا إِلَّا الْإِلْطَابُ بِمِثْلِ هَذَا الْجَوابِ] انتهى كلامه رحمه الله.

قال "وَالْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ مِنَ الْإِيمَانِ"  
الكلام للبخاري رحمه الله.

هذا جاء فيه حديث عن النبي ﷺ قال فيه: (أُوْتَقُ الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ) جاء بلفاظ أخرى.

وجاء أيضاً قول النبي ﷺ (ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَوَةً الْإِيمَانِ) وذكر منها (وَأُنْ يُحِبَّ الْمَرءُ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ).

وإذا حصل الحب في الله والبغض في الله زاد الإيمان بزيادة ذلك ونقص بنقصانه.

ما معنى الحب في الله؟ الحب لأجل الله، ولو جه الله، وكذا البغض في الله معناه: البغض لأجل الله، ولو جه الله؛ فتحب أهل الصلاح والتقوى وتبغض أهل الكفر والفسق والفحش، هذا معنى الحب والبغض، لا تحبه لمصلحة شخصية، ولا تبغضه لأمر خاص؛ بل لمكانته عند الله، وصلاته بالله سبحانه وتعالى فقط، هذا هو الضابط عندك، فكلما كان هذا الشخص أقرب إلى الله سبحانه وتعالى كان أحب إلى قلبك حتى وإن لم تنتفع منه بشيء، وكلما كان أبعد عن الله سبحانه وتعالى كان أبغض

إلى قلبك حتى وإن كانت منافع الدنيا تصلك من طريقه، هذا هو الميزان، وهو ميزان يمتحن به العبد، معنى الحب والبغض في الله هو هذا.

قال أهل العلم: الحب في الله أن تحب من أجل الله جل وعلا؛ لأنك رأيته ذا تقوى وإيمان، فتحبه في الله وتبغضه في الله؛ لأنك رأيته كافراً عاصياً لله فتبغضه في الله أو عاصياً، وإن كان مسلماً فتبغضه بقدر ما عنده من المعاصي، هكذا المؤمن يتسع قلبه لهذا وهذا، يحب في الله أهل الإيمان والتقوى، ويبغض في الله أهل الكفر والشروع والمعاصي، ويكون قلبه متسعًا لها وهذا وإذا كان الرجل فيه خير وشر كالمسلم العاصي أحبه من أجل إسلامه، وأبغضه من أجل ما عنده من المعاصي ويكون فيه الأمران، الشعيتان، شعبة الحب والبغض، فأهل الإيمان وأهل الاستقامة يحبهم حباً كاملاً وأهل الكفر يبغضهم بغضاً كاملاً وصاحب الشائطين صاحب المعاصي يحبه على قدر ما عنده من الإيمان والإسلام، ويبغضه على قدر ما عنده من المعاصي والمخالفات. انتهى.

"وكتب عمر بن عبد العزيز" عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي، أبو حفص المداني ثم الدمشقي، أمير المؤمنين الإمام العادل، أمُّه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، ولِي إمرة المدينة للوليد بن عبد الملك، يعني كان أميراً على المدينة في وقت خلافة الوليد بن عبد الملك، وكان مع سليمان بن عبد الملك بن مروان كالوزير، وولي الخلافة بعده، من أئمة التابعين، كان من أهل العلم وأئمة العدل وأهل الدين والفضل.

عده الإمام أحمد وغير واحد من أهل العلم مجدد الدين على رأس المئة الأولى، قال النبي ﷺ (يبعث الله تبارك وتعالى على رأس كل مئة سنة لهذه الأمة من يجدد لها أمر دينها) فكان هذا هو أول مجدد.

قال البخاري: قال مالك وابن عيينة: عمر بن عبد العزيز إمام.

قال ابن حجر: ومناقبه وفضائله كثيرة جداً، مات في رجب سنة 101هـ وله 40 سنة، ومدة خلافته سنتان ونصف، روى له الجماعة

"كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي" بن عميرة بن فروة بن زُرارة بن الأرقم بن النعمان الكندي أبو فروة الجزمي، وهو تابعي من أولاد الصحابة، كان عاملَ عمر بن عبد العزيز على الجزيرة والموصل، يعني كان هو الأمير المسؤول عن الجزيرة والموصل في خلافة عمر بن عبد العزيز، ولهذا كتب إليه، وفي رواية في هذا الأثر أنه كتب إليه وهو أمير على أرمينية، وكان عابداً، قال الإمام أحمد: لا يُسأل عن مثله، وقال البخاري: سيد أهل الجزيرة، المقصود بالجزيرة ما بين النهرين دجلة والفرات، ووثقه جمع من الحفاظ وهو ثقة فقيه، مات سنة 120هـ روى له أبو داود والنسائي وابن ماجه

"إِنَّ لِلْإِيمَانِ فَرَائِضَ، وَشَرَائِعَ، وَحُدُودًا، وَسُنَّةً" لا شك أن المراد بهذه الأربعـة كل ما شرعه الله من عقائد والأقوال والأعمال؛ ولكن العلماء اختلفوا في تفسيرها، وإن كان تفسيرهم في المجمل يؤدي إلى هذا المعنى.

فقال بعضهم: فرائض: أي أعمالاً مفروضة، وشرائع: أي عقائد دينية، وحدوداً: كحد الزنا وحد شرب الخمر وحد ما شرعه الله وحد ما نهى الله عنه، وسننا: أي مندويات.

المهم أنه جمع بعبارته هذه الاعتقاد والقول والعمل

قال: "فَمَنْ أَسْتَكْمَلَهَا" أي هذه الفرائض والشرائع إلى آخره "أَسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَكْمِلْهَا لَمْ يَسْتَكْمِلِ الإِيمَانَ" لاحظتم الدليل أم لا هنا؟ الغرض من رواية هذا الأثر بيان أن عمرَ كان يقول بأن الإيمان قول وفعل، وأنه يزيد وينقص حيث قال: "استكملاً" وقال: "لم يستكملاً" فمتى نقصت أعمال البر نقص كمال الإيمان ومتى زادت زاد الإيمان كما لا

قال: "فَإِنْ أُعْشْ فَسَأَبِينُهَا لَكُمْ حَتَّى تَعْمَلُوا بِهَا" أي أبين تفاريها لا أصولها؛ لأن أصولها كانت معلومة لهم؛ فالمعنى أنه سيبينها على سبيل التفصيل ليعملوا بها

"وَإِنْ أَمْتُ فَمَا أَنَا عَلَى صُحْبَتِكُمْ بِحَرِيصٍ" لأنه تعب منهم ولم يأتوا بما يريد؛ فقوله هذا يدل على تضجره منهم.

ومعنى الحرص: شدة إرادة المطلوب.

أثر عمر بن عبد العزيز هذا على الإمام البخاري رحمه الله تعليقاً، رواه موصولاً أḥمد في كتاب الإيمان؛ قاله ابن حجر. وابن أبي شيبة في المصنف وفي كتاب الإيمان له، والخلال في السنة وغيرهم، وهو صحيح

"وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: {وَلَكُنْ لِيَطْمَئِنَ قَلْبِي}" فسرّها جمع من السلف ومنهم سعيد بن جبير: بالازدياد من الإيمان؛ فقال: ليزداد يقيناً، هذا كلام سعيد بن جبير، وفي لفظ: لازداد إيماناً مع إيماني، انتهى.

فإنه قال له {أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي} قالوا: فطلب أن ينتقل من درجة علم اليقين إلى درجة عين اليقين، وهي أعلى وأكمل قال ابن القيم: لكن بين العيان والخبر رتبة طلب إبراهيم زوالها بقوله: {ولكن ليطمئن قلبي}

"وَقَالَ مُعاذُ بْنُ جَبَلَ: «اجْلِسْ بَنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً»" هو معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي، أبو عبد الرحمن صحابي مشهور، كان عالماً بالأحكام والقرآن، مات بالشام سنة 18 هـ روى له الجماعة "وقال معاذ بن جبل: «اجلس بنا نؤمن ساعة»" يعني ذكر الله، وهذا جاء مفسراً في مصنف ابن أبي شيبة؛ فسمى ذكر الله إيماناً.

- زيادة الإيمان بالذكر تكون من وجهين:

الأول: أنه يجدد من الإيمان والتصديق في القلب ما درس منه بالغفلة.

الثاني: أن الذكر نفسه من خصال الإيمان؛ فإذا ذكرت زادت خصلة الإيمان أو زاد الإيمان خصلة؛ فزاد الإيمان، فيزداد الإيمان بكثرة الذكر، والطاعات كلها من الإيمان فرضها ونفلها.

هذا الأثر عن معاذ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف وفي الإيمان، وأبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان، والخلال وعبد الله بن أحمد في السنة، وغيرهم، وهو صحيح.

تلاحظون؟! استدلالات البخاري تجدونها أين؟ في كتب السنة عند السلف، استدللاتهم واحدة، يأخذ بعضهم عن بعض كل شيء

"وقال ابن مسعود: «الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ»" ابن مسعود هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب أبو عبد الرحمن الهذلي حليف بني زهرة، من السابقين الأولين ومن كبار العلماء من الصحابة، جاء عن مسروق قال: ذكروا ابن مسعود عند عبد الله بن عمرو فقال: ذاك رجل لا أزال أحبه بعدها سمعت من رسول الله ﷺ يقول: (استقرئوا القرآن من أربعة: من ابن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل) قال فيه عمر بن الخطاب: [كَيْفَ مُلِئَ عَلَمًا] يعني وعاء مليء علما، وأمّره عمر على الكوفة، ومناقبه كثيرة جمّة، مات رضي الله عنه في المدينة سنة 32 هـ ودفن في البقيع وصلى عليه عثمان.

قال: "الْيَقِينُ الْإِيمَانُ كُلُّهُ"

قال أهل اللغة: اليقين: هو العلم وزوال الشك.

قال ابن رجب: [واليقين هو العلم الحاصل للقلب بعد النظر والاستدلال] يعني النظر في الأدلة وطلب الأدلة بعد ذلك يحصل عندك في القلب يقين [فيوجب قوة التصديق حتى ينفي الريب -ينفي الشك- ويوجبطمأنينة القلب بالإيمان وسكونه وارتياحه به، وقد جعله ابن مسعود الإيمان كله. وكذا قال الشعبي أيضا].

لكن هذا وإن كان يدل على أن الإيمان لما قال "اليقين الإيمان كله" إذا كان في كله إذا يوجد بعض له؛ فهو يتجزأ، كل وبعض فيزيد وينقص هنا الشاهد؛ لكن تعلق المرجئة بهذا

الكلام لابن رجب قال: [وهذا مما يتعلق به من يقول: إن الإيمان مجرد التصديق] وهم المرجئة، أين وجه الاستدلال عندهم [حيث جعل اليقين: الإيمان كله، فحصره في اليقين] واليقين أين؟ في القلب؛ إذاً أعمال الجوارح ليست من الإيمان، هكذا يستدلون. قال: [ولكن لم يرد ابن مسعود أن ينفي الأعمال من الإيمان، إنما مراده: أن اليقين هو أصل الإيمان كله، فإذا أيقن القلب بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر أبعثت الجوارح كلها للاستعداد للقاء الله تعالى بالأعمال الصالحة فنشأ ذلك كله عن اليقين]

رجعنا أين؟ للتلازم بين الظاهر والباطن؛ فلا يمكن أن يوجد يقين قلبي بدون الجوارح.

وهنا مسألة: [أصل الإيمان كله] هكذا قال ابن رجب، بعض من يحاول التشويش في مسائل الإيمان، ويريد أن يثبت أن الإيمان يصح بدون أعمال الجوارح يستدل ببعض الألفاظ التي وردت عن بعض العلماء من أن الإيمان له أصل وفرع، فيما أن له أصل وفرع إذاً فيصح الإيمان بلا عمل، وهذه المضيبيّة حقيقة أنت من أين؟ أنت من أن القوم يقرؤون الكتب، ويأخذون العقيدة عن الكتب فقط من دون الرجوع إلى العلماء وفهم العلماء لهذا الكلام.

ليس مقصودهم من الأصل والفرع أن الأصل يوجد بدون الفرع أو الفرع يوجد بدون الأصل، ما قصدوا هذا ولا أرادوا هذا، إنما أرادوا أن يبينوا أن أعمال الجوارح تنشأ عن القلب، أو يلخص لك الموضوع ما قاله الحسن البصري، أيس قال؟ قال: [القلب ملك والأعضاء جنوده] فإذا أمر الملك أيس يحصل؟ يتحرك الأعضاء، هذا كل ما في الأمر.

لا شك أن ما في القلب هو أصل وأساس للإيمان؛ لكن هل يعني ذلك أن الظاهر ليس إيماناً، أو أن هذا الظاهر وهذا الفرع يختلف عن وجود الأصل؟ لا، ما في القلب إيمان، وما في الظاهر إيمان، لا يوجد ما في القلب دون أن يوجد ما في الظاهر، ولا يوجد ما في الظاهر دون أن يوجد ما في القلب، أفهم هذه الحقيقة، حتى وإن قلنا أن له أصل وله فرع؛ فلا يعني ذلك أن الفرع إذا زال بقي الأصل، هذا أصل فاسد لا ينفع غير معتبر، بس سهلة.

[قال الحسن البصري: ما طلبت الجنة إلا باليقين ولا هرب من النار إلا باليقين، ولا أديت الفرائض إلا باليقين، ولا صبر على الحق إلا باليقين.]

وقال سفيان الثوري: لو أن اليقين وقع في القلب كما ينبغي لطارت القلوب اشتياقاً إلى الجنة وخوفاً من النار.

ويُذكر عن لقمان قال: العمل لا يستطيع إلا باليقين] رأيت الآثار التي جاءك بها هذه كلها حتى تفهم هذه النقطة [ومن يضعف يقينه يضعف عمله. قال عبد الله بن عكيم: سمعت ابن مسعود يقول في دعائه: اللهم زدنا إيماناً ويقيناً وفهمنا] انتهى كلامه رحمه الله.

الشاهد قول ابن مسعود فيه دلالة على أن الإيمان يتبعض؛ فيقبل الزيادة والنقصان.

قال أهل العلم: لأن كلاً وأجمع لا يؤكد بهما إلا ما يتبعض حسّاً أو حُكماً كما قاله أهل العربية، ليس من عندنا.

هذا الأثر عن ابن مسعود أخرجه وكيع في الزهد وعبد الله بن أحمد والخلال في السنة والحاكم في المستدرك وغيرهم، لفظ بعضهم: الصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله. وهو صحيح وروي مرفوعاً ولا يصح.

"وقال ابن عمر: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ حَقِيقَةَ التَّقْوَى حَتَّى يَدْعَ مَا حَاكَ فِي

ابن عمر هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوبي، أبو عبد الرحمن ابن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، ولد بعد المبعث بيسير، أسلم مع أبيه وهو صغير ولم يبلغ الحلم، لم يشهد بدرًا، واستصغر يوم أحد فلم يشهدها، وال الصحيح أن أول مشاهده الخندق، وهو أحد المكثرين من الصحابة والعادلة، وكان من علماء الصحابة ومن أكثر الناس اتباعاً للنبي ﷺ؛ لذلك كان الإمام مالك رحمه الله يأخذ عنه كثيراً ويتبعه كثيراً، قال فيه النبي ﷺ (نعم الرجل عبد الله، لو كان يصلّي بالليل) قال سالم: فكان عبد الله بعد للا ينام من الليل إلا قليلاً.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن عبد الله رجل صالح). تزكيات النبي ﷺ لا تحتاج أن نأتي بأي شيء آخر، وإن كانت التزكية المجملة موجودة للصحابه رضي الله عنهم؛ لكن هذه تقوى لأنها خاصة.

مات عبد الله بن عمر بمكة سنة 73هـ بعد قتل ابن الزبير، روى له الجماعة.

حقيقة التقوى، التقوى: هي اجتناب ما يؤدي إلى عذاب الله وغضبه، وذلك كيف يكون؟ بفعل ما أمر به، وترك ما نهى عنه، والمراد هنا كمال التقوى لا أصل التقوى، كما روي عن أبي الدرداء أنه قال: [تمام التقوى أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك بعض ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، يكون حجاباً بينه وبين الحرام.....]. الخبر.

"حتى يدع ما حاك" حاك: يعني تردد واضطراب في الصدر ولم ينشرح لها، وخاف الإثم فيه.

وروى مسلم عن النواس بن سمعان قال: "البر حسن الخلق، واللإثم ما

**حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطْلُعَ النَّاسُ عَلَيْهِ**"

والمعنى لا يبلغ العبد كمال التقوى حتى يترك الشبهات التي تضطرب لها نفس المؤمن؛ فيخشى أن تكون محرمة أو توقعه في الإثم.

قال ابن رجب: [وإنما ذكر البخاري هذا الأثر في الباب، لأن خصال التقوى هي خصال الإيمان] انتهى.

ففي أثر ابن عمر هذا إشارة إلى أن بعض المؤمنين بلغ كمال الإيمان وبعضهم لم يبلغه، فتجوز الزيادة والنقصان.

قال ابن رجب: [هذا الأثر لم أقف عليه إلى الآن في غير كتاب البخاري] هذا الأثر معلق نريده موصولاً ما في له طريق [وقد روی معناه مرفوعاً، وموقوفاً على أبي الدرداء. فخرج الترمذى، وأبن ماجه من حديث عطية السعدي، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين حتى يدع ما لا يأس به حذراً مما به يأس" وفي إسناده بعض مقال] الكلام لابن رجب [وروى ابن أبي الدنيا بإسناد منقطع، عن أبي الدرداء قال: تمام التقوى: أن يتقي الله العبد حتى يتقيه من مثقال ذرة، وحتى يترك ما يرى أنه حلال خشية أن يكون حراماً، حجاباً بينه وبين الحرام] انتهى.

قال ابن حجر في أثر ابن عمر هذا في كتابه تغليق التعليق: لم أقف عليه. وقال في الفتح: ولم أره موصولاً إلى الآن.

على كل هو للاستئناس، والاستدلال بما ذكر سابقاً.

**"وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «{شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ} أُوصِيَنَاكَ يَا مُحَمَّدُ وَإِيَّاهُ دِينًا وَاحِدًا»**

**مُجَاهِدُ بْنُ جَبَرِ الْمَكِّيُّ أَبُو الْحَجَّاجِ الْمَخْزُومِيُّ مَوْلَى السَّائِبِ بْنِ أَبِي السَّائِبِ الْمَخْزُومِيِّ** من أئمة التابعين، روی عن العبادلة الأربع وغيرهم من الصحابة، ثقة فقيه ورع كثير الحديث إمام في التفسير والعلم

قال الذهبي: أجمعـت الأمة على إمامـة مجـاهـد والـاحتـاجـ بـهـ، ولـدـ فـيـ خـلـافـةـ عـمـرـ، مـاتـ سـنـةـ 101ـهـ وـقـالـواـ غـيرـ ذـلـكـ، وـلـهـ ثـلـاثـ وـثـمـانـونـ سـنـةـ، روـىـ لـهـ الجـمـاعـةـ

{شـرـعـ لـكـمـ مـنـ الدـيـنـ مـاـ وـصـىـ بـهـ نـوـحـاـ} أوـصـينـاكـ يـاـ مـحـمـدـ وـإـيـاهـ، مـنـ وـإـيـاهـ؟ يـعـنيـ نـوـحـاـ، دـيـنـ وـاحـداـ، مـعـنـىـ ذـلـكـ أـنـ دـيـنـ الـأـنـبـيـاءـ كـلـهـ دـيـنـ وـاحـدـ، وـهـ إـلـاسـلـامـ الـعـامـ الـمـشـتـمـلـ عـلـىـ إـيمـانـ بـالـلـهـ وـمـلـائـكـتـهـ وـكـتـبـهـ وـرـسـلـهـ وـالـيـوـمـ الـآـخـرـ وـعـلـىـ تـوـحـيدـ اللـهـ وـإـلـاـخـلـاصـ الـدـيـنـ لـهـ وـإـقـامـ الـصـلـاـةـ وـإـيـتـاءـ الـزـكـاـةـ كـمـاـ قـالـ تـعـالـىـ ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مـاـ جـاءـتـهـمـ الـبـيـنـةـ﴾ وـمـاـ أـمـرـواـ إـلـاـ لـيـعـبـدـوـاـ اللـهـ مـخـلـصـينـ لـهـ الـدـيـنـ حـنـفاءـ وـيـقـيمـوـاـ الـصـلـاـةـ وـيـؤـتـواـ الـزـكـاـةـ﴾ وـذـلـكـ دـيـنـ الـقـيـمـةـ﴾ [الـبـيـنـةـ: 4-5] وـالـدـيـنـ: هـوـ إـلـاسـلـامـ، وـإـذـاـ أـطـلـقـ إـلـاسـلـامـ دـخـلـ فـيـ إـيمـانـ وـبـالـعـكـسـ، وـقـدـ اـسـتـدـلـ عـلـىـ أـنـ الـأـعـمـالـ تـدـخـلـ فـيـ إـيمـانـ بـهـذـهـ الـآـيـةـ كـثـيرـ مـنـ أـئـمـةـ السـلـفـ، وـهـيـ قـولـهـ {وـذـلـكـ دـيـنـ الـقـيـمـةـ} عـدـ أـيـشـ؟ عـدـ مـنـهـ الـأـعـمـالـ، الـصـلـاـةـ وـالـزـكـاـةـ، اـسـتـدـلـ بـذـلـكـ طـوـائـفـ مـنـ أـئـمـةـ، مـنـهـمـ الشـافـعـيـ وـأـحـمدـ وـالـحـمـيـديـ، وـقـالـ الشـافـعـيـ: لـيـسـ عـلـيـهـمـ أـحـجـ مـنـ هـذـهـ الـآـيـةـ. اـسـتـدـلـ الـأـوزـاعـيـ بـقـولـهـ تـعـالـىـ: {شـرـعـ لـكـمـ مـنـ الدـيـنـ مـاـ وـصـىـ بـهـ نـوـحـاـ وـالـذـيـ أـوـحـيـنـاـ إـلـيـكـ} إـلـىـ قـولـهـ ﴿أـنـ أـقـيمـوـاـ الـدـيـنـ وـلـلـاـ تـتـفـرـقـوـاـ فـيـهـ﴾ [الـشـورـىـ: 13ـ]، وـقـالـ: الـدـيـنـ إـيمـانـ وـالـعـمـلـ، وـاـسـتـدـلـ بـقـولـهـ تـعـالـىـ: ﴿فـإـنـ تـأـبـواـ وـأـقـامـوـاـ الـصـلـاـةـ وـأـتـواـ الـزـكـاـةـ فـإـخـوـاـنـكـمـ فـيـ الـدـيـنـ﴾ [الـتـوـبـةـ: 11ـ] وـقـدـ ذـكـرـ الـخـلـالـ فـيـ كـتـابـ السـنـةـ أـقـوالـ هـؤـلـاءـ الـأـئـمـةـ بـالـفـاظـهـمـ بـالـأـسـانـيدـ إـلـيـهـمـ. اـنـتـهـيـ مـنـ فـتـحـ الـبـارـيـ لـابـنـ رـجـبـ.

أـثـرـ مـجـاهـدـ أـخـرـجـهـ عـبـدـ بـنـ حـمـيدـ وـابـنـ جـرـيرـ وـابـنـ المـنـذـرـ وـغـيرـهـ فـيـ التـفـسـيرـ، وـهـ صـحـيـحـ عـنـهـ، وـهـ عـنـ الطـبـرـيـ بـلـفـظـ: مـاـ أـوـصـاكـ بـهـ وـأـنـبـيـاءـهـ كـلـهـ دـيـنـ وـاحـدـ.

" وـقـالـ أـبـنـ عـبـاسـ: {شـرـعـةـ وـمـنـهـاـ جـاـ} سـبـيـلـلاـ وـسـنـةـ" أـبـنـ عـبـاسـ صـاحـبـ رـسـولـ اللـهـ ﷺ وـابـنـ عـمـهـ تـقـدـمـتـ تـرـجـمـتـهـ.

قال في تفسير قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعْلٍنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَاءَ﴾ [المائدة: 48] شرعة ومنهاجا: سبيلا وسنة.

أي الشرعة: السنة، وهي بمعنى الشريعة، والشريعة ما شرعه الله لعباده من الدين.

والمنهاج: السبيل، أي: الطريق الواضح.

ولكن ابن عباس قدم وأخر، يعني عكس في التفسير؛ فقال شرعة: سبيلا، المفروض تأتي هكذا، شرعة: سبيلا، يعني سبيلا تفسيرا من الشرعة، وسنة تفسيرا لمنهاجا؛ لكن لا هي بالعكس، شرعة: تفسيرها سنة، منهاجا: تفسيرها سبيلا، وهذه الطريقة في العكس يسمىها علماء اللغة: لف ونشر غير مرتب، وجاء تفسيرها مرتبة عن ابن عباس في بعض الطرق، هكذا فسرها مجاهد وغير واحد من السلف بهذا التفسير الذي جاء عن ابن عباس رضي الله عنهم جميا.

وقال قتادة: يقول: سبيلا وسنة. والسنن مختلفة: للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء، ويحرّم ما يشاء بلاءً، ليعلم من يطيعه ومن يعصيه. ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره: التوحيد والإخلاص لله، الذي جاءت به الرسل. انتهى.

التفريق بين ما اجتمعت عليه الأنبياء وما اختلفت فيه الأنبياء، اجتمع الأنبياء على أصول الدين، واختلفوا في التشريع، في الأحكام؛ فالأحكام التي جاؤوا بها مختلفة بناء على ما يناسب كل أمة، أما التوحيد والإخلاص هذا كله متفقون عليه، وهو معنى الإسلام العام.

الأثر أخرجه عبد الرزاق والطبراني وغيرهما في التفسير وهو صحيح عنه.

النتيجة هذه تابعة:

قال المؤلف "باب دُعَاؤُكُمْ إِيمَانُكُمْ

حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ مُوسَى، قَالَ: أَخْبَرَنَا حَنْظَلَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، عَنْ عَكْرَمَةَ بْنَ خَالِدَ، عَنْ أَبْنَ عُمَرَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةُ أَنَّ لَلَّهِ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَالْحَجَّ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ"

باب دعاؤكم إيمانكم" هكذا جاءت "باب" هكذا في بعض الروايات بإثبات باب هنا، وفي بعضها ليس فيه باب، وحذف الباب هو الصواب، فالحديث الذي ذكره هو متعلق بالباب الذي سبق أصلا؛ فهذا الحديث هو الشاهد للباب.

وقوله "دعاؤكم إيمانكم" هذا الكلام لابن عباس معطوف على كلامه الأول مع حذف حرف العطف،

قال القسطلاني: وقد وقع هنا في رواية أبي ذر وغيره باب بالتنوين، وهو ثابت في أصل عليه خط الحافظ قطب الدين الحلبي كما قال العيني إنه رآه ورأيته أنا كذلك في فرع اليونينية كهي.

تقدمنا القسطلاني أول ما قابل الكتاب عنده فرع اليونينية للغزواني، ثم بعد ذلك وقف على اليونينية وقابل عليها؛ لذلك الحق كلمة "كهي" ما وجده متوافق مع الفرع قال: "كهي" يعني كالأصل التي هي اليونينية، يعني إثبات الباب موجود في بعض النسخ المعتبرة.

لكنه فيها ساقط في رواية الأصيلي وابن عساكر، وأيده قول الكرمانى أنه وقف على أصل مسموع على الفريري بحذفه، بل قال النووي: [ويقع في كثير من النسخ هنا باب وهو غلط فاحش وصوابه بحذفه] ننقل عن النووي ما عندنا مشكلة كما تقدم التفصيل في الموضوع، بل قال النووي: [ويقع في كثير من النسخ هنا باب وهو غلط فاحش وصوابه بحذفه، ولا يصح إدخاله هنا لأنه لا تعلق له بما نحن فيه، وأنه ترجم لقوله عليه الصلاة والسلام: بُنِيَ الْإِسْلَامُ ولم يذكره قبل هذا، وإنما ذكره

بعده وليس مطابقاً للترجمة] انتهى.

عندما تأتي تقول: باب دعاؤكم إيمانكم، والحديث أيس فيه؟ بنى الإسلام على خمس، أيس علاقة بنى الإسلام على خمس بـ "دعاؤكم إيمانكم"؟! هذا المقصود، إذا الصواب هو حذف كلمة "باب" حتى وإن كانت ثابتة في بعض النسخ.

قال ابن حجر: [فيكون هذا من كلام ابن عباس] يعني دعاؤكم إيمانكم ليس بباب مستقل، هو تابع لكلام ابن عباس [وَعَطَفَهُ عَلَىٰ مَا قَبْلَهُ كَعَادَتِهِ فِي حَذْفِ أَدَاءِ الْعَطْفِ] ما أتي بـ "و" [حَيْثُ يُنَقَّلُ التَّفْسِيرُ وَقَدْ وَصَلَهُ بَنْ جَرِيرٍ مِنْ قَوْلِ بْنِ عَبَّاسٍ] انتهى المراد.

والأثر عند ابن جرير وابن أبي حاتم في التفسير واللاليكي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من طريق أبي صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث، قال: حدثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس: [ قوله: {مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ } يقول: لو لا إيمانكم، وأخبر الله الكفار أنه لا حاجة له بهم إذ لم يخلقهم مؤمنين، ولو كان له بهم حاجة لحبب إليهم الإيمان كما حببه إلى المؤمنين] انتهى وسنته ضعيف، عبد الله بن صالح المصري كاتب الليث: ضعيف، بعض أهل العلم يقوى حديثه؛ لكن الراجح أنه لا يحتاج به، حاله أولاً كان أحسن، ولعل هذا من أسباب الاختلاف فيه، والشاهد منه أن ابن عباس فسر الدعاء بالإيمان، والدعاء عمل؛ فالأعمال من الإيمان، والله أعلم.

قال ابن رجب: [أصل الدعاء في اللغة: الطلب، فهو استدعاء لما يتطلبه الداعي ويؤثر حصوله، فتارة يكون الدعاء بالسؤال من الله عز وجل والابتهاج إليه كقول الداعي: اللهم اغفر لي، اللهم ارحمني] يشير إلى دعاء المسألة [وتارة يكون بالإتيان بالأسباب التي تقتضي حصول المطالب] يشير إلى دعاء العبادة [وهو الاستغلال بطاعة الله وذكره وما يجب من عبده أن يفعله وهذا هو حقيقة الإيمان، وفي "السنن الأربع" عن النعمان بن بشير، عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: "إن الدعاء

هو العبادة " ثم قرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أُسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: 60].

فما استجلب العبد من الله ما يحب واستدفع منه ما يكره بأعظم من اشتغاله بطاعة الله وعبادته وذكره وهو حقيقة الإيمان، فإن الله يدفع عن الذين آمنوا [انتهى المراد].

يعني دعاء مسألة ودعاء عبادة، وكل هذا إيمان؛ فالعمل من الإيمان، هذا الشاهد.

"حدثنا عبد الله بن موسى" بن أبي المختار وأبو المختار هو بازام العبسي مولاهم أبو محمد الكوفي، كان شيعيا إلا أنه لم يكن من الدعاة، قال أبو داود السجستاني صاحب السنن: كان شيعيا محترقا جاز حديثه، وقال يعقوب بن سفيان: شيعي، وإن قال قائل رافضي لم أنكر عليه وهو منكر الحديث، وقال ابن سعد: وكان يتشيع ويروي أحاديث في التشيع منكرة؛ فضُعِّف بذلك عند كثير من الناس. انتهى

ووثقه جمع من الأئمة، خلاصة القول في حاله: أنه كان من أروى أهل زمانه عن إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق، ثقة إلا إذا روى ما يشد بدعته، وهذا شرط معتبر في كل من وصف ببدعة، وهذا خاصة نصوا على أنه روى مناكير من هذا النوع بالذات، بالتشيع، نحن عندنا قاعدة أصلية، أن المبتدع يؤخذ عنه إذا كان ثقة بشرط أن لا يروي ما يشد بدعته، فهذا قد روى بعض الأحاديث التي تشد بدعته، نصوا عليها أيضا، وهذا تنصيص خاص؛ فهذا لا يقبل مما رواه مما فيه نصر للتشيع، وكذلك لا يقبل حديثه عن سفيان الثوري؛ لأنه اضطرب فيه اضطرابا قبيحا.

قال عثمان بن أبي شيبة: صدوق ثقة، وكان يضطرب في حديث سفيان اضطرابا قبيحا.

وقال أبو أحمد بن عدي في كتابه " رجال البخاري": عنده جامع سفيان

الثوري، ويستصرخ فيه.

من أتباع التابعين مات سنة 213هـ، روى له الجماعة.

هذا أول واحد من أتباع التابعين يروي عنه البخاري مباشرة، أول واحد يمر معنا، البخاري يروي عن أتباع التابعين ويروي عنهم دونهم، وروايته عنهم أكثر، يروي أحياناً عن أتباع التابعين، وله ثلاثيات ستأتي إن شاء الله، وهذا أعلى ما وجد للبخاري من أحاديث ثلاثيات، تابع تابعي، وتابع، وصحابي بس، ستأتي إن شاء الله، هذا أول شيخ يمر علينا من أتباع التابعين يروي عنه البخاري رحمه الله.

"قال: أخبرنا حنظلة بن أبي سفيان" بن عبد الرحمن بن صفوان بن أمية، القرشي، الجمحي، المكي. من أتباع التابعين، ثقة حجة، مات سنة 151هـ روى له الجماعة.

"عن عكرمة بن خالد" عكرمة بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، القرشي، المخزومي، المكي. مات بعد عطاء بن أبي رياح، تابعي ثقة، روى له الجماعة سوى ابن ماجه.

"عن ابن عمر" أي عبد الله بن عمر بن الخطاب، صاحب رسول الله ﷺ من صغار الصحابة ومن العبادلة ومن المكثرين، تقدم، قال أحمد بن حنبل: ستةٌ من أصحاب النبي ﷺ عليه وسلم أكثرها الرواية عنه صلى الله عليه وسلم، وعمرو: أبو هريرة، وابن عمر، وعائشة، وجابر بن عبد الله، وابن عباس، وأنس رضوان الله عليهم، وأبو هريرة أكثرهم حديثاً، وحملَّ عنه الثقات. انتهى كلام الإمام أحمد رحمه الله.

عند العلماء من روى أكثر من ألف حديث من الصحابة فهو من المكثرين، واعتمدوا في عدد أحاديث كل صحابي على ما وقع لكل صحابي في مسند بقي بن مخلد؛ لأنَّه أجمع الكتب لكنه ما وصلنا، وهم سبعة.

قال العراقي: [والذي يدل عليه كلام بقى بن مخلد: أن أكثرهم أبو هريرة، روى خمسة آلاف حديث وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً، ثم ابن عمر، روى ألفي حديث وستمائة وثلاثين، ثم أنس، روى ألفين ومائتين وستة وثمانين، ثم عائشة روت ألفين ومائتين وعشرين، ثم ابن عباس، روى ألفاً وستمائة وستين حديثاً، ثم جابر، روى ألفاً وخمسمائة وأربعين حديثاً. وليس في الصحابة من يزيد حديثه على ألف إلّا هؤلاء، وأبو سعيد الخدرى، فإنه روى ألفاً ومائة وسبعين حديثاً] انتهى.

هذا العدد يشمل الأحاديث المكررة، راجعوا كتاب ابن الجوزي "تلقيح فهوم أهل الأثر".

"رضي الله عنهم" في بعض المخطوطات مثبتة في المتن كلمة رضي الله عنهم وفي بعضها مذوقة، وفي بعضها وضعت في الحاشية وعليه رمز رواية أبي ذر، على كل يعني رضي الله عن عبد الله وعن أبيه عمر بن الخطاب، غالباً أو كثيراً ما يذكر المحدثون هذا، إذا كان الراوي صحابياً وأبواه صحابياً يقولون رضي الله عنهم.

"(بني الإسلام على خمس)" المراد بهذا تشبيه الإسلام ببنيان بني على خمسة أركان، وهي الخمس التي ذكرها صلوات الله عليه في الحديث؛ فهي كالأركان والدعائم للبنيان، ولا يثبت البنيان بدونها، وبقية خصال الإسلام تتمة له.

"شهادة أن لاله إلّا الله وأن محمدا رسول الله" يعني أن تشهد معترفاً بلسانك مؤمناً بقلبك أنه لا معبود بحق إلّا الله، وأن كل ما عبد من دون الله فهو باطل، وتتضمن شهادة أن لا إله إلّا الله: الإخلاص الذي لا تصح العبادة إلّا به، والمتابعة تتضمنها شهادة أن محمداً رسول الله.

"(ويَأْمِنُ الصَّلَاةَ، وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ، وَالْحَجَّ، وَصَوْمَ رَمَضَانَ)"

قال ابن رجب: [وإذا كانت هذه دعائم البنيان وأركانه، فبقية خصال الإسلام كبقية البنيان، فإذا فقد شيء من بقية الخصال الداخلة في

مسمى الإسلام الواجب نقص البنيان ولم يسقط بفقده] يعني إذا فقد الجهاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلم ي عمل به العبد، هل يخرجه ذلك عن الإسلام؟ لا، ولكن ينقص إيمانه [وأما هذه الخمس، فإذا زالت كلها سقط البنيان ولم يثبت بعد زوالها وكذلك إن زال منها الركن الأعظم وهو الشهادتان]

باختصار، الإسلام مبني على خمس أركان، هذه الأركان التي هي الفرائض والعبادات، مبني عليها الإسلام، الإسلام كله، هذه الأركان الخمسة هي الأساس، إذا فقدت كلها كان الشخص كافرا ليس بمسلم، إذا فقدت الشهادتان أيضا كان كافرا فهذا هو الركن الأعظم

[وزوالهما يكون بالإتيان بما يضادهما ولا يجتمع معهما]

يعني كيف تزول الشهادتان؟ يذهب العبد يعبد قبرا، يصلى إلى وثن، هذا قد أتى بما يضاد معنى الشهادتين؛ فلا يجتمع هذا مع كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، فيكون قد نقض هذه الشهادة، بهذا تزول الشهادتان حتى وإن نطق بها لكنه قد نقضها بفعله أو قوله أو باعتقاده.

الكلام لابن رجب: [وأما زوال الأربع البوادي: فاختلف العلماء هل يزول الاسم بزوالها أو بزوال واحد منها؟ أم لا يزول بذلك؟ أم يفرق بين الصلاة وغيرها فيزول بترك الصلاة دون غيرها؟ أم يختص زوال الإسلام بترك الصلاة والزكاة خاصة وفي ذلك اختلاف مشهور، وهذه الأقوال كلها محكية عن الإمام أحمد وكثير من علماء أهل الحديث يرى تكفير تارك الصلاة] انتهى. أكثر السلف على هذا.

هذا الحديث يدل على أن كل ما ذكر فيه من الإيمان على قول من لا يفرق بين الإيمان أو الإسلام، إما مطلقاً أو عند الإفراد.

ما معنى كلام ابن رجب رحمه الله: ابن رجب خلاصة كلامه يقول لك أن النبي ﷺ شبه الإسلام بالبنيان، فالدين كله هذا البنيان، له أساس. هذا الأساس هي هذه الخمس التي ذكرت، فهي قواعد وأساس للبنيان،

أسس البنيان قواعده إذا هدمت كلها هل يبقى واقفاً؟ يهدم؛ إذاً هذه الخمسة أساس، إذا هدمت كلها يهدم البنيان، إذا هدم منها فقط الشهادتان ويقي الباقي يهدم البنيان أم لا يهدم؟ يهدم؛ لأن هذا الركن الأعظم، الأساس، أقرب ما يكون نشبه لكم الأمر بخيمة مبنية، الذي رأى منكم الخيمة كيف تبني، لها عمود أساس في الوسط طويل، ولها أوتاد حولها تمسكها، الخيمة تقوم على هذا، إذا أزالت الوتد الذي في الوسط هدمت الخيمة، وإذا هدمت الوتد مع البقية هدمت الخيمة، طيب موضوعنا الآن، انتهينا من الشهادتين هذا أمر متفق عليه لا إشكال فيه.

طيب شخص أتي بالشهادتين وترك الصلاة فقط، هل يبقى معه إسلام؟ هذه المسألة أختلف فيها، فأهل السنة قد اختلفوا في تارك الصلاة هل يكفر أم لا يكفر إذا ترك الصلاة تكاسلًا، جحوداً منتهي الموضوع ليس موضوعنا ليس كلامنا في مسألة الجحود؛ لأن الجحود إذا جحد حتى لو صلى فهو كافر بما أنه جآحد انتهى الموضوع، الموضوع في المتكاسل إذا ترك الصلاة أي يكفر أم لا يكفر، في هذه المسألة خلاف بين أهل السنة والجماعة، فبعضهم قال يكفر، وبعضهم قال لا يكفر، البعض الآن من الخوارج رمى أهل السنة الذين لا يكفرون تارك الصلاة بالإرجاء، بعض المرجئة رموا أهل السنة الذين يكفرون تارك الصلاة بالخوارج، هل هذا الكلام صحيح؟ له وجه من الصحة، من أين؟ الأصل الذي بنى عليه قوله في كفر تارك الصلاة أو عدم كفره ما هو؟ إن بنى قوله على كفر تارك الصلاة أو عدم كفره على الدليل فقط، فتقول الدليل دل على أنه كافر؛ لقول النبي ﷺ (الْعَهْدُ الَّذِي بَيَّنَا وَبَيَّنْتُمُ الصَّلَاةَ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ) فأنا أخذت بهذا الدليل ومشيت، هل هذا من الخوارج؟ لا، إذا كانت أصوله أصول أهل السنة والجماعة، وإذا قال الآخر أيضاً أنا بنى على الأدلة الشرعية، ثبتت عندي الأدلة الشرعية أن هذا المقصود من هذا الحديث كفر دون كفر وليس الكفر الأكبر؛ لأنه قد عارضه عندي غيره من الأدلة فقدمته عليه، وأصوله أصول أهل السنة، هل هذا من المرجئة؟ لا؛ لأنه ما بنى قوله على أصول المرجئة، لكن لو جاء وقال

لك: أنا أقول بأن تارك الصلاة ليس كافرا، انظر التعليل؛ لأن الصلاة عمل، والعمل ليس من الإيمان، هذا مرجئ، أو قال لك بأن تارك الصلاة كافر؛ لأن ترك الصلاة كبيرة، والصلاحة من الإيمان، وارتكاب الكبائر مخرج من الإيمان، هذا من الخوارج، بنى كلامه على أصل الخوارج، إذاً ممکن السنی والخارجي يقولان نفس القول، والسنی والمرجئ يقولان نفس القول؛ لكن هذا تعليله شيء وهذا تعليله شيء؛ فيختلف الأمر، إذاً لا بد من الرجوع إلى الأصل الذي بنى عليه قوله، تكفيراً أو عدم تكفيراً، هذا هو التفصيل في مسألة تارك الصلاة؛ لأنه قد ثبت الخلاف عن السلف فيها، وثبت عن أئمة بأنهم قالوا تارك الصلاة ليس بكافر، وثبت عن أئمة القول بأنه كافر، حتى نقل بعضهم إجماع السلف على هذا على أنه كافر خارج من ملة الإسلام؛ لكن الصحيح أنه قول أكثر السلف وليس إجماعاً على كفر تارك الصلاة، الصحابة لا ينقل عن أحد من الصحابة القول بعدم كفره، كل من نقل عنهم القول نقل عنهم القول بالكفر، أما التابعون ففيهم من قال بعدم كفره، موجود، وأتباع التابعين فيهم أيضاً هذا.

الزكاة: إذا ترك الزكاة أيضاً هذه المسألة فيها خلاف بين أهل السنة هل يكفر أم لا يكفر، الصيام والحج كذلك، حصل خلاف، وإن كان الخلاف حقيقة ضعيفاً جداً، لكن موجود، الخلاف القوي والموجود في الصلاة، وأكثر السلف على أنه كافر، والمنقول عن الصحابة جميعاً أنه كافر، لم ينقل عنهم خلاف هذا، لا نقول إجماع، لكن هذا المنقول يكفياناً هذا؛ لكن هنا أمر وهو أمر مهم جداً، هل هذه المسألة متعلقة بترك أعمال الجوارح في الإيمان، وأن السلف الذين قالوا بأن تارك أعمال الجوارح بالكلية كافر، كانوا يذهبون أن تارك البنيان كافر؟ لا، هذا الخلط حصل عند المتأخرین فقط، أما السلف ما كان هذا مأخذهم أبداً، ارجعوا إلى كلامهم في كتب الاعتقاد وانظروا، لا يبنون المسألة على هذا، ولو لا أن الوقت تأخر وأدركنا لنقلنا ما قاله سفيان بن عيينة في وصفه للمرجئة أنهم يقولون بأنه من ترك الصلاة والصيام والزكاة والحج -قال-

والفرائض، ما قصر على المبنيي الخامس، قال والفرائض، وترك الفرائض قال: يقولون بأنه مؤمن، هذا هو الإرجاء، هذا كلام سفيان، فمن الخلط والتلبيس الذي يحصل أن تقول: أن هذا الخلاف حاصل بين أهل السنة بسبب خلافهم في البنيان هل يكفر بها أم لا يكفر، لا المسألة لا علاقة لها بهذا الموضوع، ولا علاقة لها بالصلاحة هل يكفر أو لا يكفر بترك الصلاة، لا ما هي من هذا القبيل؛ بل المسألة عندهم مبنية على تعريف الإيمان، وماذا تقول في الإيمان، إن قلت الإيمان اعتقاد وقول وعمل إذاً تقول بأنه من ترك أعمال الجوارح بالكلية فهو كافر، وهذا أمر متفق عليه بينهم، قال: لا يجزئ أحدهما عن الآخر؛ بل لما قال وكيع، عرف المرجئة، فقالوا له من المرجئة؟ قال: من يقول الإقرار يجزئ عن العمل، تريد أكثر من هذا، واضح وصريح، عندهم إذا قلت بأن الإيمان يصح بالاعتقاد والقول دون العمل فهذا قول المرجئ، هكذا هم يقررون، وهذا كلامهم، وهو موجود ومسطر بكثرة.

المسألة هذه خطيرة، وأنا أركز عليها؛ لأنها فتحت علينا أبواب شر كبيرة، صار الشباب يتدرجون في هذه المسألة حتى وصل بعضهم التصريح بأن الأعمال ليست من الإيمان، هذه بداية البدعة تكون هكذا، الإرجاء أول ما بدأ إرجاء الفقهاء، اختلف العلماء من الذي بدأ به، هل هو ذر الهمданى أم هو سالم الأفطس أم حماد بن أبي سليمان أم قيس، أقوال للعلماء.

هؤلاء بعضهم من الفقهاء المشهورين، كانوا يقولون اعتقاد وقول الإيمان، وقد شنع عليهم السلف أشد التشنيع؛ بل ابن تيمية رحمه الله نفسه ينقل عن السلف تبديعهم والإنكار عليهم أشد الإنكار، لماذا؟ لأنه شر عظيم سيجر إلى ما بعده، وهذا الذي حصل، جاءت بعد ذلك أقوال المرجئة الأعظم من هذا؛ فالامر خطير.

خلاصة قول المرجئة: إخراج العمل عن مسمى الإيمان.

يستدللون باللغة، يقولون الإيمان في اللغة : هو التصديق؛ إذاً الأعمال

ليست منه، ورد عليهم العلماء بأن التصديق حتى عمل الجوارح في اللغة يسمى تصديقاً، كما قال النبي ﷺ (والفرج يصدق ذلك أو يُكذب) فهذا تصديق أيضاً، استدلوا بعطف الأعمال على الإيمان، الذين آمنوا وعملوا الصالحات، قالوا والعطف يقتضي المغايرة؛ إذاً هما مختلفان؛ فقال أهل العلم: يمكن عطف الخاص على العام، كما قال الله تبارك وتعالى: {حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى} الصلاة الوسطى من الصلاة أم ليست من الصلاة؟ هذه كهذه انتهى الأمر، فهم يتعلّقون بالمتّسّابهات، قال رسول الله ﷺ (من قال: لَلَّا إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) خلاص انتهى الأمر

قال السلف: هذه قبل أن تفرض الفرائض، قبل أن تنزل الأحكام كان الأمر هكذا ثم بعد ذلك نزلت الأحكام، هذه شبّهات المرجئة وهذا قولهم، ولا يقول المرجئة لا بزيادة الإيمان ونقصانه إلا ما ذكرنا استثناء، ولا يستثنون في الإيمان

ويعضمهم يقول: الخلاف مع مرجئة الفقهاء خلاف لفظي! باطل والله، أين السلف من هذا الكلام؟! لماذا بدعوهم وضلّلواهم وشنعوا عليهم وأنكروا عليهم أشد الإنكار

ماذا حصل من الأحناف الذين عرفوا بأنهم هم الذين مشوا على طريقة شيخهم في إرجاء الفقهاء هذا؟! مازا حصل منهم مع الشافعية؟ كفروهم لأنهم يستثنون في الإيمان، ونزلوا نساءهم منزلة أهل الكتاب، وأجازوا الزواج من نساء الشافعيات من باب تنزيلهن منزلة أهل الكتاب فقط، وحصل بينهم وبين الشافعية اقتتال عظيم، حتى يقول بعض العلماء: مررت بقرية فوجدتها عامرة، ثم مررت بها ثانية فوجدتها خراباً، قال ما الذي حصل؟ قالوا: اقتتال بين الأحناف والشافعية، كان يكفر الأحناف الشافعية؛ لأنهم لا يستثنون في الإيمان، ثم يقول لك خلاف لفظي! خلاف لفظي أين؟! قد بنيت عليه بلاوي ومصايب، صاروا ينكرون ويبدعون ويضلّلون من خالفهم أيضاً، أمر خطير

حتى تعرفوا خطورة البدع، يأتيك شخص يقول لك لا تحذر من أهل البدع لا تتكلم في أهل البدع إخواننا ومنا وفيينا وأصحابنا وأحبابنا حتى يطعنوك في ظهرك، وقد طعنوك في دينك قبل ذلك، انظروا إلى أهل البدع وما الذي يفعلونه فيكم، ثم بعد ذلك افهم، البدع شرها عظيم على الإسلام وعلى المسلمين، فإذا لم تكن حذرا ضعت معهم، فلا بد من الحذر والانتباه.

اختلف أصحاب حنظلة في رواية هذا الحديث عنه، وسئل عن حديث سالم، عن أبيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بني الإسلام على خمس) الحديث.

الحديث عندنا من طريق من؟ من طريق عكرمة بن خالد عن ابن عمر، وليس من طريق سالم، هذا الحديث جاء من طريق سالم، وسألوا الدارقطني عنه فقال: يرويه حنظلة بن أبي سفيان، وأختلف عنه؛ فرواه عنبرة بن عبد الواحد، عن حنظلة، عن سالم، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

لا بد أن تكتب عندك هذا وتشجر حتى تفهم المسألة جيدا، هذا من غير كتابة وتشجي ومتابعة لا تستطيع أن تفهم العلل، الآن من المخرج؟ حنظلة، روأه عنبرة عن حنظلة عن سالم عن أبيه عن النبي عليهما السلام، عندنا من الذي يروي عن حنظلة؟ عبيد الله بن موسى قد عرفتم حاله قال: فرواه عنبرة بن عبد الواحد، عن حنظلة، عن سالم، عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وسلم.

أيش الفرق بين رواية عنبرة عن حنظلة ورواية عبيد الله عن حنظلة؟ عنبرة يرويه عن حنظلة عن سالم، عبيد الله يرويه عن حنظلة عن عكرمة وليس عن سالم.

وخلفه وكيع، وإسحاق بن سليمان الرازبي، وقاسم بن مالك المزنبي، وعبيد الله بن موسى، ورووه عن حنظلة، عن عكرمة بن خالد، عن ابن

عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

من المتابع؟ عبيد الله أم عنبرة؟ عبيد الله، تابعه جمع ومنهم حفاظ على روایته عن حنظلة عن عكرمة عن ابن عمر، وعنبرة روى جادة سالم عن ابن عمر، قرینتان قويتان في تقديم روایة الجماعة.

قال: إلا أن في حديث قاسم بن مالك: عكرمة بن خالد، عن طاوس، عن ابن عمر.

هذه مخالفة ثانية من قاسم، قاسم يوافقهم في روایته عن عكرمة ويخالفهم في زيادة رجل.

قال: والصواب ما قاله عبيد الله بن موسى، فإنه ضبط إسناده.

عن من أخرجه البخاري؟ عن عبيد الله بن موسى، انظر إمامية البخاري،  
هذا هو البخاري

ثم ذكر الحديث بإسناده من طريق عبيد الله وقال: أخرجه البخاري عن عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ مُوسَى، عَنْ حَنْظَلَةَ، وأخرجه مسلم، عن ابن نمير، عن أبيه.

وقيل: سماع عكرمة بن خالد، من ابن عمر؟

يعني يسألونه، سماع عكرمة بن خالد عن ابن عمر كيف هو؟ هل سمع منه؟ لماذا السؤال عن هذه الطبقة بالذات؟ هذه الطبقة أكثر ما يقع الانقطاع فيها، التابعي عن الصحابي، وهذه يجب أن تركز عليه جيدا في كل حديث تبحثه؛ لأن أكثر الانقطاعات في هذه الطبقة

قال: سماع عكرمة بن خالد، من ابن عمر؟ قال: صحيح.

إذاً سمع منه، طبعاً نحن بالنسبة للبخاري رينا كثيراً، لما نجد الإسناد في صحيح البخاري نقول قد سمع خلاص؛ بل هذه إحدى الطرق التي ثبت بها السماع، لماذا؟ لأن البخاري شديد في هذا الموضوع لا يتراهل، فإذا وضعه خلاص انتهى الأمر.

ثم ذكر طریقاً آخری لرواية سالم عن أبيه. انتهى المراد. لكن كله الصحيح ما ذكر في البداية.

كل الذين ذكرهم الدارقطني يحتج بهم، بعضهم أقوى من بعض، الدارقطني رجح رواية الجماعة؛ لقرينتين: الجماعة، والقرينة الثانية: الجادة.

وقول الدارقطني: والصواب ما قاله عبید الله بن موسى، فإن ضبط إسناده.

قوله: ضبط إسناده يبين لك أنهم قد علموا من عبید الله حفظ هذا الحديث وإتقانه، فهذا يبين لك قوة علم الإمام البخاري وقوته في العلل، سعة حفظه في طرق الحديث ومقارنته بينها وترجيح الراجح منها، وجودة انتقاء الروايات.

الحديث متفق عليه لا غبار على صحته، رواه عن ابن عمر جمع، أخرجه البخاري ومسلم من طريق عكرمة، وأخرجه البخاري من طريق نافع عن ابن عمر موقوفاً، وأخرجه مسلم من طريق سعد بن عبيدة، ومن طريق محمد بن زيد بن عبد الله ابن عمر عن ابن عمر.

من لطائف إسناد هذا الحديث: جمعه للتحديث والإخبار والعنونة حدثنا وأخبرنا وعن كلها موجودة وكل رجاله مكيون إلا عبید الله فإنه كوفي، وهو من رباعيات البخاري وأخرج منه المؤلف أيضاً في التفسير ومسلم في الإيمان خماسي الإسناد. فهو هنا عال.

والله أعلم، والحمد لله، نكتفي بهذا القدر، نسأل الله يوفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.